




أَنْتِ

جريمتي الأولى

دار خيال ® للنشر والترجمة

تجزئة 53، قطعة رقم 27 – بليمور برج بوغيريج – الجزائر

الهاتف: 0774 46 59 58 / 035 86 52 97 

 البريد الإلكتروني: [Khayaleditions@gmail.com](mailto:Khayaleditions@gmail.com)

ردمك:

الإيداع القانوني: أكتوبر 2025



جميع الحقوق محفوظة ©

لا يجوز إعادة نشر هذا العمل

أو جزء منه بأي وسيلة دون إذن خطي من الناشر أو المؤلف .



القرصنة تقتل الكتاب دعمك للنسخ الأصلية يضمن

استمرارية الكتاب.

رواية أنتَ جريمتي الأولى.

كتابة وتأليف:

الكاتبة عسلي صفاء

الإيميل: [fasa2797@gmail.com](mailto:fasa2797@gmail.com)

ملاحظة هامة :

تمت كتابة هذه الرواية يوم السبت 4 جانفي 2025

يمنع منعاً باتاً أخذ أو نشر أي جزء من الرواية دون إذن من الكاتب نفسه وأي إختراق لهذا الشرط يتم إتخاذ الإجراءات القانونية من أجل حماية الملكية الفكرية والإبداعية للكاتب .

عسلي صفاء

رواية

أنتَ جريمتي الأولى

## إهداء:

«إلى من يمسك بهذا الكتاب ويقرأ هذه الصفحة اعلم أنك لم  
تعد مجرد قارئ... لقد أصبحت الجاني. لذلك، أعد الكتاب  
إن لم تكن مستعداً لارتكاب جريمتك الأولى، فكلّ سطرٍ هنا  
سيختبر قلبك ويدفعك لتجاوز حدودك.»

هل ما زلت مصرا على قراءتها؟

إذن ستصبح أنتَ جرّيمي الأولى

"يقولون، بعد الضيق يأتي الفرح، وأنه خلف كل عسر يوجد  
يُسّر، وأن وراء كل ليلٍ حالكٍ يُشرق نور الشمس ليضيء  
الأفق. هكذا يردد الناس، لكن يبدو أن قدرتي كان له رأيٌ آخر.  
فحتى الآن لم يُشرق نورٌ على طريقي، ولم يطرق اليُسْر بابي،  
ويبدو أن الفرح ما زال يرفض مقابلي. كل ما وجدته هو  
وحدتي، التي أصبحت رفيقتي الدائمة، ودموع لؤلؤتي التي لم  
تفارقني. أتذكر جيدًا الظلام الذي أصر على احتضاني، فهل  
هذا قدرتي، أم أنني مجرد فتاة غير محظوظة خُلقت لتعيش  
هذا الألم؟ أربما كان الصبر اختيارًا لي. حقًا، من المؤلم أن تجد  
نفسك صديقًا للجميع وعدوًا لنفسك في الوقت ذاته. فهل  
فهمت مقصدي؟ أم أنك تود سماع حكايتي؟"

## عائلة متفرقة :

هل تعلم ما هو شعور أن تفهم شيئًا بعقلك، ولكن يصعب عليك فهمه بقلبك؟ حسنًا، سأوضح لك أكثر. إنه مثل الدروس المدرسية عند التلاميذ، عندما يفهمون الدرس جيدًا ويحفظون الأساسيات، يصبح الامتحان سهلًا عليهم، ويبدعون في حله للحصول على علامات جيدة، وربما ممتازة. ولكن عندما لا يفهمون الدرس جيدًا، ويخافون من الحصول على علامة الصفر في الامتحان أو من توبيخ والديهم، يلجأون إلى حفظه فقط من أجل عدم ترك ورقة الإجابة فارغة. هذه الحالة تنطبق على الحياة المدرسية العادية.

لكن هناك أمورًا تعلمنا إياها الحياة، وتفرض علينا قاعدتين فقط: إما أن نفهمها بعقولنا أو بقلوبنا. ومع ذلك، أجد نفسي الوحيدة التي لا تفهم درس العائلة. لا أستطيع حقًا استيعاب هذا المفهوم، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بعائلتي. فأنا أعلم أن العائلة هي تلك المنارة التي تضيء طريقك، هي الملجأ الذي يحميك من قسوة الحياة وغدرها، هي الحضان الذي يحتضنك عندما تكون في أمس الحاجة إليه. كنت أسمع هذه الكلمات وأفهم أن العائلة هي أساس كل بيت، ولكن الغريب أنني لم أشعر ولو لمرة واحدة أنني أمتلك عائلة.

لقد فهمت معنى العائلة بعقلي، لكن قلبي عجز عن فهمها. فهل يا ترى المشكلة في عائلتي، أم في قلبي الذي يرفض فهم هذه الرموز الغريبة بالنسبة له؟

لا بد من أنكم تتساءلون عن إسعي، عن حكايتي، عن قصة حياتي وعائلتي، وعن الكثير والكثير من الأشياء. حسنًا، كل ما أعرفه هو أنني أردت الموت، ولكن الموت رفضني. ربما في ذلك الوقت الذي أردته، لم يكن يريدني، أو لأن قدرتي مرتبط بتلك الحادثة الذي غيرتني وأعلم أن الله خلقني، وأنه يراقبني وهو معي دائمًا. كنت أشعر دائمًا بوجوده، هو الذي يمدني بالقوة ويحثني على الصبر.

لكن حكايتي مختلفة عن باقي الحكايات، سأرويها لكم. أنا البنت الأولى والأخيرة، أو لنقل: البنت الوحيدة في عائلتي. اسعي ربما. أنا أول وآخر طفل أنجبته عائلتي، أو بالأحرى، عائلتي اختارت ألا تنجب غيري كانت بداية حياتي جميلة جدًا.

لقد كانت أمي تحبني كثيرًا، ودائمًا ما تقول إنني أشبهها. كانت تلقبني بـ"غزالي".

وعندما كنت أسألها:

- "يا أمي، لماذا أسميتني ربما ولم تسميني باسم فتاة أخرى؟"

كانت تجيب بابتسامة:

- "ريما غزالتى، عيونك الكبيرة الجميلة، بداخلها سواد حالك يسر الناظرين، يشبه عيون الغزال. وشعرك الطويل الرائع، بلمسه الناعم، يجعلني أغرق في جماله. هذا الشعر الحريري البني المختلف يجعلك حقًا مميزة عن باقي الفتيات. أحيانًا أقول إنك تشبهيني. وأحيانًا أقول:

- لا، إنها تشبه والدها. لكن كل ما أعرفه يا حبيبتي، ويا صغيرتي، هو أنكِ طفلي الجميلة، غزالة بعيونك وشعرك وبشرتك الحليبية الصفراء التي تسر الناظرين إليك. كيف لا أسمىك ريما وأنت تشبهين الغزال حقًا؟

إسم ريما في القاموس العربي يعني الغزال أو الظبي الجميل الأصيل. لا تقولي إنني سميتك على إسم حيوان، ولكن يوم ولادتك كان أجمل يوم في حياتي. أخبرت جدتك آنذاك أنني رزقت بأجمل طفلة، أجمل غزالة، ولهذا أسميتك ريما. هل فهمتِ؟"

كانت كلمات أمي دائمًا معبرة ومحفزة لي، وكانت بمثابة طاقة تدفعني للأمام. لكنني تمنيت حقًا لو أنني لم أتعلق بها كثيرًا.

قد تتساءلون:

- لماذا لا أريد التعلق بها؟

أحياناً، التعلق الزائد بشخص ما يكون سبب دمارك. فخلف كل لقاء فراق، وخلف كل تعلق اشتياق. وكلما زاد تعلقك بشخص، زاد ألمك بفراقه وعذاب اشتياقك له.

كانت أُمي صديقتي، وحببتي، وكل شيء في حياتي. كنت دائماً أخذ بنصائحها وأستشيرها في كل صغيرة وكبيرة، ولهذا السبب كان وجودها في حياتي أكبر نعمة بالنسبة لي. الآن، وأنا على مشارف إنهاء دراستي الجامعية، أود أن أخبركم أنني أبلغ من العمر عشرين عاماً وأدرس في جامعة محمد بوضياف في ولايتي المسيلة، تخصص علوم الطبيعة والحياة، وتحديداً علوم البيئة والمحيط. في البداية، لم أكن أحب هذا التخصص، بل فكرت جدياً في التوقف عن دراسته وإعادة اجتياز شهادة البكالوريا لاختيار مجال آخر. لكن أُمي، بحكمتها، نصحتني قائلة: "لم يتبق سوى سنتين للخروج، وسوف يمر الوقت سريعاً، ولعل الله جعل الخير في هذا التخصص، ولهذا السبب اختارك له." مع مرور الوقت، اقتنعت بكلامها تدريجياً، وبدأت أجد نفسي فيه، حتى أحببته. وها هو الوقت يمضي، والأيام تنزلق من بين يدي كالرمل، ولم يتبق لي سوى خمسة أو ستة أشهر فقط لأحصل على شهادتي

التي بذلت من أجلها أكثر من خمسة عشر عامًا من الدراسة.  
حياتنا كانت عادية جدًا، كأي أم وابنتها.

## أبي الغريب

ربما تعتقدون الآن أنني يتيمة الأب، ولكن الحقيقة أنني كنت ابنة أكبر رجل أعمال في المدينة آنذاك. أبي كان يوفر لنا كل ما نحتاجه من الناحية المادية، حتى أننا لم نشعر يوماً بالنقص. كنت ابنته الوحيدة والمدللة، وكان يشتري لي أفخم الملابس من أشهر الماركات العالمية، ووفر لي سائقًا خاصًا لنقلي إلى الجامعة.

لكن، رغم كل هذا الاهتمام المادي، لم يكن أبي قريبًا منا عاطفيًا. كان نادر الحضور في حياتنا، دائم الانشغال بأعماله أو مسافرًا. وإن حضر، يكون ذلك في أوقات متأخرة عندما أكون نائمة، أو أثناء انشغالي بالدراسة. اللقاء الأسبوعي الوحيد الذي كنا نراه فيه كان يوم الجمعة، حيث كان يفطر معنا قبل أن يغادر للعمل. لكن حتى في تلك اللحظات القليلة، لم تكن بيننا تلك العلاقة الدافئة التي تجمع أفراد الأسرة.

كان حديثه معي مقتصرًا على سؤال واحد يتكرر دائمًا:

- "كيف حال دراستك؟"

كنت أجيبه:

- "بخير، لم يتبقَّ سوى خمسة أشهر وسأُخرج." ورغم محاولاتي لفتح مواضيع أخرى معه، كان يتجاهلي.

ويكتفي بالقول:

- "لا تُتعبيني، هل تحتاجين شيئاً؟ إن كان هناك نقص، أخبريني. المال، الملابس، أو أي شيء آخر؟ أنا أوفر لكم كل شيء."

حينها كنت أجيبه بصوت مليء بالخذلان:

- "نحن لا نحتاج المال، بل نحتاجك أنت." لكن هذا النقاش غالباً ما كان ينتهي بجملة قاسية منه:

- "لا تفتحي معي مشاكل لا داعي لها."

أحياناً كان ينشب شجار بينه وبين أمي بسبب هذا البرود، لذا تعودنا على الصمت، وكنا نتحدث معه فقط عند الضرورة، وغالباً عبر الهاتف.

أتذكر يوم الجمعة حين نجتمع على مائدة الإفطار. كان الجو هادئاً جداً، والصوت الوحيد الذي يكسر السكون هو صوت الملاعق وهي تضرب الأطباق. لم يكن هناك أي حوار حقيقي، مجرد هدوء يلفنا جميعاً، حتى صوته حين يسألني عن دراستي كان يبدو خافتاً وغير مبالي.

كنت أرى آباء زميلاتي يعاملونهم بحنانٍ وحب، وكنت أشعر  
بالغيرة. صحيح أنني أملك كل شيء مادي، لكنني كنت أشعر أنني  
لا أملك شيئًا يسمى العائلة . كانت تلك المشاعر مختلطة بين  
الحاجة للدفع العائلي والرغبة في كسر الصمت الذي يحيط  
بحياتنا.

اليوم، وأنا أسترجع ذكرياتي، أدركت أن الحياة ليست مثالية، وأن  
المظاهر قد تكون خادعة. من الخارج، ربما أبدو الفتاة التي تملك  
كل شيء، ولكن داخليًا، كنت أشعر أنني لا أملك أي شيء. لا  
أمتلك أبا حقيقيا كل ما أملكه هو أبي الغريب .....

## هل ماتت؟

كان صباح يوم الإثنين كأني يوم عادي. استيقظت مبكرًا كعادتي منذ إلتحاقى بالجامعة. الساعة تشير إلى السادسة تمامًا، وأجواء الشتاء الباردة تسلفت إلى غرفتي عبر النافذة الصغيرة. توضأت وصليت الفجر، ثم بدأت بتحضير نفسي لليوم الدراسي. نزلت إلى غرفة المعيشة، حيث وجدت أمي كالعادة تُحضّر لي الفطور. نظرت إليّ بابتسامة دافئة، تلك الابتسامة التي لطالما شعرت أنها تخفي شيئًا.

أبي، كما هو الحال دائمًا، لم يكن موجودًا. "ذهب أثناء نومك"، قالتها أمي بنفس النبرة المعتادة. كنت أعلم أنه مشغول، دائمًا مشغول، سواء بالعمل أو بالسفر. لكن غيابه لم يكن مجرد غياب جسدي؛ كان فراغًا يمتد داخل قلبي.

تناولت الفطور معها، وحديثنا كان يدور حول دراستي واقتراب امتحانات الفصل الأول. أخبرتها عن قراري بارتداء الحجاب الشرعي يوم الجمعة المقبلة. أردت أن أجعل تلك اللحظة خاصة، احتفالًا بسيطًا معنا ومع صديقاتي. فرحت أمي كثيرًا وقالت:

- "هذا القرار سيزيدك جمالًا ونورًا".

بعد أن انتهيت من تجهيزاتي، اتصلت بعبي فارس، السائق الذي كان يُعدّ بمثابة أبٍ ثانٍ لي. وصل بعد دقائق، وكالعادة كان ينتظرني بابتسامة هادئة تعكس وقاره. عبي فارس رجل طويل القامة، شعره الأبيض يتخلله بعض السواد كذكرى لشباب مضى، وعيناه السوداوان تحملان حكمة السنين. وجهه المليء بالتجاعيد كان يروي قصصًا لا حصر لها عن ماضي مليء بالكفاح.

ركبت السيارة، وألقينا تحية الصباح. كالعادة، تحدثنا عن الدراسة وعن استعداداتي للامتحانات. كان يسألني دائمًا عن أحوالي وكأنه يحرص على أن يملأ الفراغ الذي تركه أبي.

وصلنا إلى الجامعة بعد عشرين دقيقة. ودّعت عبي فارس، ثم دخلتُ لألتقي بصديقتي فاطمة، حيث قضيتُ معها يومًا جامعيًا عاديًا، مليئًا بالدروس، والضحك، والتعب. وعندما دقت الساعة الخامسة مساءً، كان وقت الخروج قد حان.

رأيت سيارة عبي فارس تنتظرني عند البوابة. ركبت السيارة، وبدأنا رحلة العودة إلى المنزل. كان حديثنا مريحًا كالعادة، لكن شعورًا غريبًا بدأ يتسلل إليّ مع اقترابنا من المنزل.

عندما وصلنا، نزلتُ من السيارة وودّعت عمي . ثم دخلتُ إلى حديقة المنزل. بدا كل شيء طبيعيًا في البداية، لكن عندما توجهتُ نحو باب المنزل، لاحظتُ أنه مفتوح قليلاً. لم تكن تلك من عادة أمي؛ فهي دائماً ما تغلقه، وأقوم أنا بربّ الجرس، وإن لم تسمعني، أفتحه بالمفتاح الذي أملكه. أن أراه مفتوحًا هكذا؟ لا بد أن أمي نسيته... أو ربما والدي قد عاد. لكنني استبعدت هذه الفكرة، فسيارته لم تكن هناك. إذًا، لا تفسير سوى أن أمي نسيته مفتوحًا.

دلّفتُ إلى الداخل. كل شيء بدا طبيعيًا في البداية، لكن الصمت كان مخيفًا. ناديت أمي، ولم تأتِ أي إجابة. تقدمت ببطء نحو المطبخ. كانت خطواتي ثقيلة، وكأن الأرض تمسك بقدمي.

ما رأيته هناك جعلني أتجمد في مكاني. تجمد الدم في عروقي، وشعرت وكأن الهواء نفسه قد اختفى. الظلام حلّ فجأة رغم وضوح النهار، وكأن العالم بأسره توقف للحظة. كان المشهد أمامي... لا يمكن وصفه. كان أشبه بكابوس، لكنه أكثر بشاعة من أي كابوس تخيلته.

صرخة مزّقت المكان، صرخة خرجت من أعماقي دون إرادة مني ، شعرت أن المنزل بأكمله قد اهتز بصداها، وربما سمعها كل من

كان في الشارع. وقفت مشدوهة، عاجزة عن الفهم، عاجزة حتى  
عن الحركة.....

بعد أن أوصلني عمي فارس إلى المنزل، دلفتُ إلى داخل البيت كان الباب مفتوحا . وجدت أن الأضواء مغلقة والهدوء يعم المكان. ناديت أُمي عدة مرات، لكن لم تجبني لوهلة ظننت أنها قد خرجت لكنني تذكرت أن عمي فارس قد رحل للتو، وبالتالي من المستحيل أن تخرج وحدها. كانت أوامر أبي واضحة لا تخرج إلا إذا كان أحدهم معها. استغربت من الجو المظلم والهادئ في البيت، فهذه ليست عادة أُمي.

اتجهتُ نحو المطبخ، ولبرهةٍ ظننتُ أنني سأجدها هناك، ربما تضع سماعات الأذن كالعادة. وإن لم تكن هناك، فقد تكون في الحمام تستحم. لم أكن واثقة، لكنني كنت أظن، كما في كل مرة، أنني سأجدها في المطبخ عند عودتي من الجامعة.

ولكن بمجرد دخولي إلى الباب الأول في المطبخ، رأيت ذلك المنظر الذي لا يمكن أن أصدق عيني. كانت توجد هناك قدما شخصين متدليتين من خلف الجدار، وكأن شخصا سقط على الأرض. مطبخنا لا يأتي مباشرة بعد فتح الباب، بل يوجد جدار يفصل بين الباب والجزء الرئيسي من المطبخ. وعندما اجتزت هذا الجدار، رأيت قدما على الأرض تظهران بشكل غريب .

لم أستطع أن أصدق ما رأيته، كان المنظر مرعبا. تقدمت ببطء نحو الجدار، انتظرت لحظة قبل أن ألتفت إليه، محاولةً فهم ما

يحدث. وعندما نظرت بشكل أقرب، تحقق ما كنت أخشاه، كانت قدما أمي.

كانت تلك اللحظة أسوأ من كل كوابيسي. أمي كانت ملقاة في بركة من دماؤها. كانت جثتها هامدة، لا تتحرك، وكانت عيناها مغلقتان ، وكأنها رحلت لا أستطيع وصف مشاعري حينها، كان صوت قلبي المحطم يملأ أذني. صرخت بأعلى صوتي، "أمي! أمي! ماذا حدث؟! ولكنها لم تجب، لم يكن هناك أي رد.

كنت أضع يدي تحت رقبته، أبحث عن أي نبض، أي حياة. وعيناها كانت مغمضة، ولا يزال الدم ينزف من جرحها الذي بدا عميقًا. كنت أصرخ باسمها، ولكن لا شيء. في تلك اللحظة نسيت كل شيء، كنت فقط أصرخ، أصرخ محاولة أن تعود، أن تفتح عينيها.

ثم في لحظة من الوعي، اتجهت بسرعة إلى الهاتف، اتصلت بالإسعاف. أخبرتهم بكل التفاصيل اسمي، اسم أمي، عنوان المنزل، وكيف وجدتتها. كانوا يحاولون تهدئتي وقالوا لي إنهم سيكفونون هناك في خمس دقائق. وأضافوا أنهم سيتحققون مما حدث، وطلبوا مني أن أتصل بالشرطة فورًا.

اتصلت بالشرطة على الفور، وأخبرتهم بكل شيء، وقالوا لي نفس الشيء: "لا تقلقي، سنكون هناك في خمس دقائق. كانت كلماتهم تتردد في رأسي وكأن الوقت لا يمضي.

ثم اتصلت بعبي فارس كنت في حالة يرثى لها، لا أستطيع حتى تذكر ما قلته له، لكن الكلمة التي تكررت كانت "عبي أمي ماتت... أمي ماتت. كنت أكررها بلا وعي، وكأنني لم أصدق ما يحدث.

حاول عبي تهدئتي، وقال لي إنه قادم فوراً فمنازله قريب جداً من منزلنا، وكان يعلم أنني بحاجة إليه. وقال لي إنه سيكون هناك في أقل من دقيقة.

ثم عدت إلى أمي، لا أعرف ماذا أفعل. كانت هذه أول مرة أواجه فيها مثل هذه الحالة. تذكرت ما كنت أراه في المسلسلات، حاولت أن أضغط على الجرح بمنشفة باردة عليها توقف النزيف، لكنني لم أكن واثقة من أن هذا سينجح. كنت أصرخ باسمها، أدعو الله أن يساعدني، أن تعود إلى الحياة.

فجأة!.....

سمعت صوت جرس الباب فنهضت بسرعة، أملا أن يكون الإسعاف أو الشرطة قد وصلوا أخيرًا. وعندما فتحته وجدته عمي فارس، وقد ظهرت له في حالتي التي لا توصف. كانت ثيابي ملطخة بدماء أمي، وكأنني ارتكبت جريمة قتل.

قلت له بسرعة:

- "أمي ماتت أمي ماتت." لكنه لم يصدقني في البداية. قرأ بعض المعوذات من القرآن الكريم علي ، ثم قال لي بهدوء:

- "اهدئي، دعيني أذهب إلى المطبخ."

عندما وصل إلى المطبخ، تغير وجهه تماما. أصبح شاحبا وعينييه كانت مليئة بالدهشة والحزن قال لي: "إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليها .

كنت أصرخ:

- "ماذا تقول؟! هل ماتت؟ هل ماتت؟ هل أنت مجنون؟!"

إنها ما زالت تتزلف! "لكنه أصر على أنه لا يريد أن يتفائل في الأسوأ، وأوضح لي أن الجروح التي تعرضت لها أمي كانت في منطقة خطيرة جدًا، قريبًا جدًا من القلب.

قال لي:

- " يبدو أن الفاعل لم يتعمد قتلها بضربة واحدة، بل كان يريد تعذيبها قليلاً، ثم طعنها طعنة في البطن وأخرى في الركبة الجرح الذي كنت تضغطين عليه كان هو الجرح الذي أصاب القلب، ولهذا كان أخطر من جميع الجروح الأخرى."

شعرت بالعجز الشديد، خاصة عندما قال لي:

- "كان يجب عليك ألا تلمسيها، لأنك الآن قد أصبحت المشتبه بها رقم واحد. لديها بصماتكي وأثاركي على جسدها، وكان يجب عليك أن تتصلي بالإسعاف أولاً ثم الشرطة. وكان عليك أن تسجلي فيديو لهذه اللحظة كدليل على براءتك."

لم أستطع الرد كنت غارقة في الحزن والفرح. فكرت في تلك الدقائق التي كانت تمر كأنها سنوات. شعرت وكأن النور الوحيد في حياتي قد انطفأ. أبي لا يهتم لنا، وعبي فارس، رغم حنيته، لا يستطيع تعويض ما فقدناه.

وفي لحظة من الصمت أخيراً، وصل الصوت الذي كنت أنتظره.... صوت سيارة الإسعاف، ثم سيارة الشرطة. وصلوا أخيراً، ولكن الدقائق التي مضت كانت قد دمرت كل شيء.....

## أسر

كنت جالسًا في مكتبي كعادتي، أُحقق في بعض الأوراق المتعلقة بقضايا المساجين السابقين وأخرى نعمل على معالجتها والتحقيق فيها. كان العمل مملاً ومُتكرراً، إلى أن قاطع هذا الروتين صوت صديقي رائد الذي دخل قائلاً بصوت مرح:

"هاي يا رجل، ما الذي تفعله؟"

لم أُجب. بدا السؤال غريباً بعض الشيء، فهو يراني غارقاً في تلك القضايا التافهة ومع ذلك يطرح سؤالاً كهذا. واصلت عملي متجاهلاً وجوده، لكنه كرر كلامه بصوت أعلى:

"يا رجل، هيا! لدينا قضية جديدة! هناك من اتصلت بنا وأبلغتنا عن جريمة."

رفعت عيني ببطء ونظرت إليه بملل قائلاً:

"ومن اتصل؟"

أجابني قائلاً:

"فتاة، يبدو من صوتها أنها صغيرة نوعاً ما. لم نفهم الكثير مما قالته، لكنها كررت مراراً: "أمي ماتت! أمي ماتت!". أعطتنا عنوان

بيتها واسمها فقط. من صوتها، بدا واضحاً أنها كانت مرتبكة جداً.

حينها أجبتّه باستخفاف:

- "اذهب أنت وبعض الرجال للتحقق. ربما تكون واحدة من تلك المزح السخيفة. أحياناً يبلغ الأطفال عن حوادث وهمية، وعندما نصل لا نجد شيئاً."

رد مستنكراً:

- "هل تعلم من هي؟"

قلت ببرود:

- "لا أريد أن أعرف."

قال:

- "إنها ابنة رجل الأعمال الذي تكرهه."

رفعت حاجبي بدهشة وقلت:

- "ماذا تعني؟ أوضح أكثر."

فقال لي بنبرة جدية :

- "الشخص الذي اتصلت هي ابنة كمال. نحن متأكدون أن المكالمة جاءت من منزله. ومع ذلك، لا نعلم من هي تحديداً. إذا كانت صادقة، فهذا يعني أن زوجته ماتت وتعتبر قضية حقيقية. وإن كانت تكذب، يمكنك رفع قضية عليها بتهمة العبث بأفراد الشرطة. لكن إن فعلت ذلك، وأثبتت أنها مجرد مزحة، ستبدو تافهاً في نظري."

أجبتُه بفتور وأنا غارق بين تلك الأوراق :

- "حديثك ممل. ما أثار اهتمامي فقط هو اسم كمال. ومع ذلك، أشعر بالملل. خذ الرجال واذهب. إن كانت هناك جريمة حقيقية، عد وأخبرني."

نظر إليّ رائد وقال ساخرًا:

- "حسناً، افعل ما تشاء أيها الغبي. لكن إذا كانت القضية حقيقية، فلن تتولى هذه القضية. أنا من سيتولاها."

نظرت إليه بحدة وقلت:

- "لا تنسَ أنني قائد هذا الفريق. إن أمرتك بتولي القضية، ستتولاها. وإن لم أمرك، لن تكون لك."

ضحك قائلاً:

- "حسنًا. لكن إن كانت المكالمة كاذبة، ستتولى أنت ترتيب جميع هذه الأوراق المكدسة حولك."

ضحكت على مدى سذاجته في الكلام وأجبتة:

- "ههه، وهل تمزح؟ إن كانت القضية حقيقية، ستكون فرصتي الذهبية للانتقام من كمال. أتمنى أن تكون ابنته من اتصلت، لأنني عندها سأتمكن من كشف كل الجرائم التي ارتكبتها عن طريقها."

نظر إليّ رائد بقلق وقال:

- "هاي يا رجل، هل أنت مجنون؟ تريد توريط فتاة لا علاقة لها بشيء؟ نعم، لدينا مجموعة قضايا ضد والدها، لكنها مجرد شكوك دون دليل. هذا لا يمنحك الحق في إدخال ابنته في عالمه. هي لا ذنب لها."

لم أعطِ كلامه أي اهتمام. كل ما فكرت فيه تلك اللحظة هو أنني أخيرًا سأتمكن من دخول منزل كمال، أو المجرم كمال كما أراه، عن طريق عائلته.

نهضت من مكثبي كالعادة، متجهاً إلى غرفتي لتبديل ملابسي، حيث ارتديت معطفي وقبعتي. كان رائد قد فعل نفس الشيء، وأخذنا معنا بعض من رجال الشرطة الذين كانوا تحت قيادتنا. ثم تلقينا اتصالاً من قسم الإسعاف، حيث أخبرونا أنهم تلقوا نفس الاتصال وأكدوا أنهم تحققوا من أن الفتاة فعلاً اتصلت بنا كما طلبوا منها. أجبناهم بأنها فعلاً اتصلت. من هنا، وبعد المكالمة مع قسم الإسعاف، أيقنت أن الأمر لم يكن مزحة؛ فلا يوجد طفل يتصل بالإسعاف والشرطة في الوقت نفسه إلا إذا كانت مزحة ثقيلة، وفي هذه الحالة، سأفعل كما قال لي رائد وأرفع قضية عليها، حتى وإن كان الأمر سخيفاً. لكن إذا كانت الجريمة حقيقية، فلا أستطيع الصبر أكثر حتى نصل إلى منزل السيد كمال ونرى ماذا حدث.

خرجنا أنا ورائد مع الرجال، وركبنا سيارات الشرطة بسرعة، خاصة أننا أردنا أن نلحق بالمكان قبل حدوث أي مفاجأة تغير مجرى الأحداث. كانت السيارة تسير بسرعة نحو منزل السيد كمال بفضل إشارات المرور التي أفسح لنا المواطنون الطريق من خلالها، مما ساعدنا في الوصول سريعاً. كان صديقي رائد يردد قائلاً:

- "هاي، يا رجل، ماذا تتوقع أنه حدث؟" لكنني كنت متجاهلاً سؤاله، غارقاً في عالم آخر من التفكير. هل هذه حقاً لحظة الانتقال من كمال، أم أننا كما جرت العادة، عندما نصل إلى دليل يثبت جرائمه غير القانونية، نجد أنه يختفي أو يحرف الأمور؟

قاطعني صراخ رائد وهو يقول:

- "هاي يا رجل! أنا أتحدث معك، أين أنت؟"

فأجبتته ببرود:

- "ماذا تريد؟ منذ الصباح وأنت تتكلم، ألا تتعب من الكلام؟"

فاجابني ساخراً:

- "ما الذي تظنه؟ أنا أتحدث معك في مجال العمل، يجب عليك أن تُجيبني قبل أن تكون قائداً للكتيبة في هذه المدينة. كنت صديقي فلا تتعالى عليّ."

هنا أدركت أنني لم أكن أولي رائد اهتماماً كافياً، خاصة عندما يتعلق الأمر بشخص مهم مثل كمال. كنت مشغولاً تماماً بفكرة الانتقام، وهو ما جعلني أخرج أحياناً عن نطاق الواقع وأجاهل من حولي.

فأخبرته بهدوء:

- "يا رجل، لا تغضب، كنت فقط أفكر في هذه القضية وما حدث فيها." فأعاد سؤاله:

- "ماذا تظن قد حدث؟ هل يعقل أن يكون لكمال دخل أيضاً في عائلته؟ وهل يمكن أن يكونوا مجرمين مثله؟"

حينها أجبته ونيران الغضب تنهش صدري بحقدها:

- "كل شيء ممكن. لا أصدق شيئاً يتعلق بكمال، خاصة أن المتصلة هي فتاة. أنت تعلم جيداً كراهيتي لكمال وكرهي للنساء، وكراهيتي له بسبب تلك المرأة التي جعلتني أخسر أمي وعائلي. إن كان القدر يكرر نفسه، فأنا مستعد لتحطيم عائلة كمال وفق

القانون ومحاسبتهم على جرائمهم، حتى وإن كان لابنته دخل في  
عالمه. لن أتهاون معها."

لاحظت سكوت رائد، فكان غير طبيعي. نظرت إليه من زاوية عينيّ  
بينما كنت أقود سيارة الشرطة، فوجدته متوترًا جدًا.

قال لي بهدوء، ليس كعادته:

- "ألم أخبرك أن تنسى الماضي؟ أعلم أن أمك لم تكن لها ذنب في  
ما حدث، لكن هذا لا يعطيك الحق في أن تكره جميع النساء  
وتتهمهن بالإجرام. تعلم كيف تفصل بين الواقع والماضي، كيف  
تفصل بين حياتك في العمل وحياتك خارج العمل. حتى وإن كانت  
لابنته علاقة بذلك، لن تورطها في عالمه قبل أن تحضر الأدلة  
وتتأكد من أعمالها. ماذا لو كانت الفتاة بريئة ولا تعلم شيئًا عن  
ماضي والدها الأسود؟ أنت تعلم جيدًا أن والدك وأبها كانا  
صديقين منذ الطفولة، حتى أن والدك عاداك من أجل صديقه  
بعد اتهاماتك الباطلة له. هل حقًا تريد تدمير حياتك وعملك  
بسبب ماضي لا نعلم إن كان حقيقيا أم لا".

بعد تلك الكلمات التي ألقاها صديقي رائد على مسامعي، عمّ  
الصمت في السيارة. كنا نسير في هدوء، كلٌّ منا منشغل بتفكيره.

أنا أمسك بمقود السيارة وأقود نحو الوجهة، بينما رائد ينظر من النافذة إلى المارة والمواطنين.

لم تمضي سوى دقائق معدودة حتى لمحنا ذلك المنزل المألوف ، خصوصاً بالنسبة لي. ذلك المنزل الذي لطالما كرهته؛ كرهت سكانه وكل ما يتعلق باسم السيد كمال. شعرت بمزيج من الغضب والرغبة وأنا أقرب منه، لكن رائد، وكأنه قرأ أفكارى، التفت إليّ وقال بحزم:

- "نحن الآن على مشارف دخول منزل أكثر شخص تكرهه. تمالك نفسك لما سيحدث، وتذكّر أنك هنا كشرطي يريد التحقيق ويساعد المواطنين، وليست أسر الإنسان الذي يحمل مشاعره الخاصة. عليك أن تضع مشاعرك جانباً الآن، وتركّز على العمل فقط. أنا هنا لأدعمك، وسنكتشف الحقيقة معاً. وعندها فقط، سيترك الأمر للقانون. هل هذا مفهوم يا أسر؟"

نظرت إليه بثقة وقلت:

- "نعم يارائد، سأفعل ما يجب فعله. ولا تنسَ أنني القائد هنا. لذا، هذه الكلمات يجب أن أقولها أنا لك، وليس العكس. من منا القائد هنا؟"

ابتسم رائد بخفة وقال بسخرية:

- "يا إلهي، لقد جنّ جنون الرجل! نعم، نعم، أنت القائد، ولكن أحياناً يجب على الأصدقاء مساعدة بعضهم البعض. نحن الآن في العمل، وفي العمل أنا مساعدك، لكن خارج نطاق العمل نحن أصدقاء. أليس كذلك؟"

أجبت برود:

- "حسناً، فلنغلق الموضوع. هيا بنا لنرى ماذا يحدث. حان الوقت لدخول عالم السيد كمال."

بكلمات مختصرة لكنها مشحونة، أعددتنا أنفسنا للخطوة التالية، وكلانا يعلم أن القادم ليس سهلاً.

بعد أن نزلنا من السيارة، وجدنا سيارتين للإسعاف متوقفتين أمام باب المنزل، ويبدو أنهما وصلتا بالتزامن معنا، لأننا رأينا المرضيين في السيارتين يستعدون لإنزال النقالة والدخول إلى موقع الحادث. ومع ذلك، وبحسب القانون، إذا كان هناك جريمة أو اشتباه بوقوعها، يجب على المسعفين انتظار الشرطة، لأنها الجهة الوحيدة المخولة بالتحقيق في مثل هذه الأمور والتعامل مع الجثة أو الشخص المصاب. الهدف من ذلك هو تجنب أي لبس أو سوء فهم وضمان تطبيق العدالة بشكل قانوني.

لحسن الحظ، وصولنا السريع جعلهم لا يضطرون للانتظار طويلاً. تقدمتُ أنا ورائد أمام الجميع—رجال الإسعاف ورجال الشرطة—واتجهنا إلى باب المنزل. طرق رائد الباب، لكنني لم أنتظر طويلاً حتى يفتح. أمرت رجالي بالاستعداد لكسر الباب. لكن قبل أن يبدأوا، فتح الباب لنا رجل كبير في السن. قال بلهفة: - "أرجوكم، افعلوا ما يجب فعله، ولكن لا تؤذوا الفتاة. إنها في حالة يرثى لها."

كان يبدو عليه التأثر الشديد، وكأن الفتاة تعني له الكثير. من نظراته وكلماته شعرت أنه يخفي أمورًا كبيرة. تجاهلت حديثه للحظة وأعطيت الإذن لرجال الإسعاف بالدخول إلى المنزل مباشرة.

ثم تحدث رائد قائلاً:

- "معكم الكتيبة رقم اثنين، فرقة الشرطة المسؤولة عن تحريات الجرائم وعمليات السرقة. قائد الكتيبة هو السيد أسر، وأنا نائبه. جننا بناءً على اتصال من فتاة صغيرة يُشتبه بأنها هي من اتصلت بنا وبالإسعاف."

كان رائد يلتزم بالقوانين التي تقضي بتعريف الشرطة عن نفسها.

أما أنا، فاكتفيت بالقول:

- "يرجى التعاون معنا."

نظر الرجل إليّ لثواني ثم قال:

- "أنت أسر، أليس كذلك؟"

تعجبت من سؤاله وأجبته:

- "نعم، أنا أسر. أظن أن القائد رائد أخبرك بذلك للتو."

لكنه رد قائلاً:

- "لا، أقصد أنك أسر، ابن السيدة أمينة، أليس كذلك؟"

شعرت للحظة وكأن صاعقة نزلت عليّ. كيف يعرف هذا الرجل أُمي؟ ولماذا يناديني كما لو كان يعرفني منذ زمن بعيد؟ لم يكن يقصد أسر الشرطي، بل أسر الشخص العادي. كانت نظراته مليئة بالغموض، وكأن لديه الكثير ليقوله.

لكنني قررت تجاهل الأمر مؤقتاً والتركيز على المهمة الحالية. دخلت المنزل متخطياً الرجل، وبدأت ألاحظ رجال الشرطة يفتشون في المكان. بدا واضحاً أن رائد أعطى الأوامر بذلك.

وبينما كنت أتحرك داخل المنزل، صرخ رائد:

- "أسر! تعال وانظر إلى هذا! أسرع!"

سمعت صوته قادماً من جهة المطبخ. هرعت إلى هناك لأجد المرضى يحاولون تهدئة فتاة كانت تصرخ بشدة. عندما وقعت عيني على الفتاة، شعرت بشيء غريب. كان هناك شيء مختلف بشأنها، لا أعلم ما هو، ولكنني أدركت أن ما يحدث هنا سيكون بداية سلسلة أحداث تقودني إلى الانتقام من السيد كمال.

أو ربما أكثر من ذلك. وعن طريق من؟ عن طريق أفراد عائلته، الذين قد يكونون السبب في دمار إمبراطوريته وبيد من؟ نعم، بيدي أنا.....

## بداية كل شيء

كنت أنظر إلى أمي، وهي ملقاة على الأرض، جثة هامدة غارقة في بركة من دمائها. لقد تأخر الإسعاف كثيرا، ولكن عندما سمعنا صوتهم يدقون الباب وصفاراتهم التي كانت تسمع إنذارها من بعيد، عرفنا أنهم وصلوا، ولكن بعد ماذا؟ خسرت كل شيء. كنت فقط أمسك بيدي أمي، وهكذا وعندما دقوا الجرس، نظرتُ إلى السيد فارس، فلما انطلق نحو الباب ليفتحه بسرعة، سمعت خطوات بعض الرجال يخطون نحو المنزل، فعرفت أنهم رجال الشرطة ورجال الإسعاف.

دخل رجال الإسعاف بسرعة إلى المطبخ، فوجدوني في حالة يرثى لها. اندهشوا بسرعة، وقام رجلان بإمساكي وإبعادي عن جثة أمي. وأنا فقط كنتُ في حالة من الشلل، لا أدري ماذا أفعل. كنتُ أتصور أن أمي تموت، وأنهم يتركوني وحدي. لا أعلم إن كان ما أعيشه حقيقة أم مجرد حلم أو كابوس.

بدأ رجال الإسعاف بفحص أمي وضع أحدهم يديه على رقبته، بينما وضع الآخر يده على قلبها ليتأكد إن كان هناك نبض أم لا. ثم سارعوا في نقلها عبر النقالة. قام أحد رجال الإسعاف بحمل جسد أمي بيديه ووضعها في النقالة، وكانوا في غاية القلق. في تلك

الأثناء، لاحظت رجال الشرطة يُحَوِّطُونَ المكان بشريط أصفر. يبدو أن ما حدث في منزلنا لم يكن حادثاً عادياً، بل كان مدبراً، وأن أحدهم كان يستهدف أمي.

كل ما كنت أفعله في ذلك الوقت هو محاولة الهروب من قبضة رجال الإسعاف، الذين كانوا يقيدون يدي ويأمرونني بالهدوء. ثم دخل شخص غير عادي عبر باب المطبخ كان يبدو وكأنه قائد كتيبة، طويل القامة، أسمر البشرة، ذو وجه غاضب جداً. شعره الأسود كان يتماشى مع هيئته وبذلته التي كنت أعتقد في لحظة ما أنني قد أقع في حياها. كان رجلاً ذا هيبة، أسود العينين، وكان يتوجه نحوي بنظرات تحمل قسوة وغضباً. تبادلنا النظرات لوهلة، وكانت عيناه تلتقطان عيني، كل منا ينظر للآخر بغرابة. أحسست بشعور غريب، مزيج من الخوف والغموض، ثم في تلك اللحظة ظهر على وجهه تعبير شرس، كذئب يكشر أنيابه حين يرى فريسته. وقال بصوت عالٍ ومسموع:

-القائد أسر هنا، وسوف يكون مسؤولاً عن تحقيق هذه الجريمة المفتعلة في منزل المجرم كمال.

عندما سمعته تجمدت في مكاني حرفيًا أُمي ماتت، والآن هذا الرجل يتهم أبي بالجريمة ؟ هل هو حقا شرطي أم مجرد مجنون يدعي تحقيق العدالة ؟ لولا رجال الإسعاف الذين كانا يمساكن بي من الجانبين، لكان جسدي قد انهيار تماما. شعرت بالرعب، كما لو أن هذا الذئب يريد ابتلاعي

هل أنت مجنون ؟ من تظن نفسك؟ أبي ليس مجرما! أُمي الآن تموت، وأنت تتهم أبي؟ أي حق لديك في اتهام هذا الباطل ؟ أيها الظالم!"

قال لي ببرود، وكأن الكلمات التي يلقيها كانت مجرد حديث عابر:  
-اصمتي. ومن قال إنك لست مثلهم؟ أنت مجرد فتاة تدعي البراءة.  
لابد أنكم خططتم لقتل السيدة إكرام، أليس كذلك؟"

صعقت، ثم سألته بدهشة:

"من أين تعرف اسم أُمي؟"

أجابني، وكأن الأمر بسيط:

-أولست أنت الطفلة الصغيرة التي اتصلت وأخبرتنا باسمها واسم أمها ؟ هل ماتت ؟ ماتت أُمي ؟ أم أنك جننت ؟"

أجابني بتحد:

- "أنا قائد هذه الكتيبة، وكل شيء يحدث في هذه المدينة يكون لي علم به حتى الجدران تستمع لي. أنا القائد رقم واحد في الكتيبة التي تحارب الجرائم.

قلت له بغضب:

- قائد مغرور! ماذا تظن نفسك؟ هل جئت الآن لتعابني وتهمني بالجريمة؟ وأين؟ في بيتنا؟"

أجابني:

- "لن أتحدث معك كثيراً الآن ما فيك يكفيكي. لكن ما أعلمه هو أنني فتحتُ لي باباً لظالما انتظرتة سنوات. حان الوقت للقضاء على عائلة كمال المجرم.

كنت أنظر إليه في دهشة، لا أفهم ما يحدث. أولاً صُدمتُ بموت أمي، ثم اكتشفت أن أبي متهم بالجريمة. الآن هذا الشرطي المخبول يريد تدمير عائلتي؟ بدأت أصرخ، وأنا في قمة غضبي:

ستندم لن أتركك، سأقتلك!"

قال لي ببرود:

"نعم، ستقتليني كما قتلتِ أمك هنا."

ثم أمر رجال الإسعاف بإسكاتي، وأعدوا حقنة مهدئة لي. كنت أحاول الهروب منهم، ولكن لم يكن هناك مفر. شعرت بالدوار، وقبل أن أغلق عيني، كان كل ما أتذكره هو وجه هذا الشرطي، أو لنقل، وجه الشيطان الذي اعتبرته عدوي في حياتي كنت أظن أن العدالة تكمن في تحقيق القانون وأن الشرطة هي رمز العدالة. لكن هذا الشرطي كان مختلفًا، كلماته القاسية ونظراته المرعبة كانت كالجرح الذي يفتح في قلبي، وكل كلمة كان يلقيها تزيد من آلامي.

كنت أعتقد أن العدالة هي الخلاص هي التي ستأخذ حقي وحق أمي. ولكن الآن أصبحت العدالة هي عدوتي، وهي التي تتهمني بجريمة لم ارتكبتها. جريمة قتل أمي. أغمضت عيني، متمنية لو أن هذا كان مجرد حلم، ولكن إذا لم يكن حلمًا، تمنيت لو أنني أغمضُ عيني للأبد، أُغلقها، ولا أرى النور مجددًا.

نعم، إنها بداية لطريق صعب جدًا. بداية لطريق مظلم، ليس لي نور فيه.

\*\*\*

عندما بدأت أفتح عيني ببطء، شعرت بالضوء يختلج داخلي، فاستفاقت روحي تدريجيًا. أول ما قابلته كان السقف الأبيض اللامع. وعندما استعاد ذهني القدرة على التركيز، نظرت حولي فوجدت نفسي مستلقية على سريري في غرفة كانت كلها بيضاء. كان هناك سريران، أحدهما لي والآخر كان فارغًا. في الزاوية، كانت هناك خزانة صغيرة ومصباح مضيء، والضوء يتسلل عبر نافذة الغرفة. في تلك اللحظة، لم أستطع فهم أين أنا. ثم بدأت أستعيد أفكارٍ شيئًا فشيئًا، وفجأة انتابني صرخة من أعماق قلبي: "أمي!"

قفزت بسرعة عن السرير، وأنا أزيح الحقنة التي كانت موصولة بالمصل الغذائي. نزعتهما بسرعة حتى شعرت بألم في يدي. ثم نهضت بسرعة وبدأت أبحث عن باب الغرفة. وجدت الباب وهرعت للخروج وأنا أصرخ:

- "أمي، أين أنت؟". بدالي أنني في المستشفى، كان الممر ضيقًا جدًا مليئًا بالغرف والمصابين. بينما كنت أركض، فجأة شعرت بشيء يسيطر عليّ من يدي، وشعرت بقوة غريبة، كانت يدًا خشنة، وعندما رفعت رأسي ونظرت، اكتشفت أنه المحقق المخبول، القائد أسر.

قال لي بخشونة:

- "إلى أين تظنين نفسك ذاهبة، يا فتاة؟".

فصرخت عليه و نيران الغضب تلتهم وجهي :

- "أتركني، أتركني أيها المجرم! كيف تجرؤ على اتهامنا، اتهام عائلتي، واتهام أبي بقتل أمي؟ أتركني، دعني أرى أمي!".

رد عليّ أسر بنبرة قاسية:

- "من الأفضل لك أن تعودي إلى غرفتك. يبدو أن عائلة أمك متواجدة في الداخل. إنهم يودعونها، ويبدو أن خالتك، بالذات، تتوعدك بالقتل".

ضحكت بمرارة الألم وسخرية القدر، وقلت له:

- "أنت رجل شرطة، أليس كذلك؟ لماذا هذا الكذب؟".

لكنه أحرق تلك الضحكة حين أجابني بصرامة:

- "توقفي عن التمثيل. أنا أعلم كل شيء. هذه الخدعة لن تفيدك. أنت ابنة كمال، وبالتأكيد ستكونين ممثلة بارعة".

ثم قال لي، وهو ينظر إليّ بحزم:

- "لن يهمني إن كنت بخير أو لا. مهمتي هي حمايتك حتى تتم محاسبتك على جميع أفعالك، وأفعال والدك. وإذا ثبتت براءتك، ستخرجين وتعيشين حياتك. ولكن، مهما حدث، ستظل وصمة عار تلاحقك طوال حياتك".

تجمدت مكاني، ولم أتمكن من الرد. تساءلت في نفسي:

- "ماذا فعل أبي؟ ماذا فعل لشخص مثلك ليقول هذا؟" مالخطأ الذي إرتكبه أبي لينتج وحشا حاقدًا عليه مثلك؟....

ثم نظر أسر إليّ وقال:

- "لقد تحققت من يومك. كنت في الجامعة، ولكن رغم هذا لاتزال التحقيقات والشرطة يشتمون بك كمتهم رئيسي في هذه الجريمة. ووفقًا لنتائج التحقيق، تم العثور على بصماتك على الجثة".

في تلك اللحظة، سقطت على الأرض، لم أستطع التحكم في نفسي. كنت في صدمة تامة. فسألته بصوت مبحوح قائلة:

- "ماذا تعني بالجثة؟"

رد عليّ وهو ينظر إليّ باستخفاف:

- "ألم تسمعي الخبر؟ اه تذكرت لقد كنتِ فاقدة الوعي لمدة 15 ساعة. لا بد من أنك لم تسمعي ما حدث أثناء نومك، أما أنا فقد كنت في صدمة".

شعرت كما لو أن رأسي سينفجر. لم أشعر بتلك الساعات. كنت في حالة غيبوبة تامة. ثم سألته، وأنا أحاول فهم ما يحدث:  
- "إذا كنت تقول الحقيقة، ماذا جرى خلال هذه الـ 15 ساعة؟".

أجابني ببرود:

- "أمك ماتت. ماتت بسبب خمس طعنات واحدة في قلبها والأخرى في كتفها والأخرى....."

فصرخت مقاطعة لكلامه:

- توقااااف.....توقف عن الكلام . فأكمل كلامه متجاهلا صراخي  
وكانه يجبرني على الصمت لسماع كلامه قائلا:

- ما حدث، وكل الأدلة تشير إليك. أما عن والدك فبعد التحقيقات تبين أنه مختفي منذ خمسة أيام. لقد اختفى، ولا أحد يعرف مكانه".

شعرت كما لو أن كلماته كانت تخترقني، كانت تتناثر في عقلي كالسكاكين. "ماتت أمي... أبي اختفى... وأنا المجرمة في عيون الجميع؟". كانت كلمات أسر تجرحني بشكل لم أكن أتصوره.

ثم قال لي بنبرة قاسية:

- "أنتِ الآن فريسة للكثير من الأعداء. أنتِ ابنة أكبر رجل أعمال في البلاد، والآن الجميع يعتقد أنك جزء من الجريمة. لا أحد يصدقك".

وأضاف، وهو يمسك ذراعي بقوة:

- "استعدي، يا ريما. لا أحد سيقف بجانبك، وستواجهين مصيراً صعباً".

ثم همس قائلاً:

- "أنا هنا لأحميك حتى يتم جمع كل الأدلة ضدك ، وعندما تحاكمين وتثبت إدانتك ، ستواجهين العدالة كما يستحق المجرم".

حينئذٍ أغمضت عيني وأنا أشعر بالحزن والمرارة. لم أعد أعرف ماذا أفعل. أصبحت محاصرة بين الظلام والاتهام الذي لا يمكن

الهروب منه. في تلك اللحظة، شعرت أن العالم كله قد تأمر ضدي، وأني أعيش في كابوس لا نهاية له .

حينئذٍ رفعت رأسي لأقابل عينيه اللتين لطالما اعتبرتهما عيني ذئب لا إنسان. نظرت إليه وكلي يأس وألم، وكل كلمة خرجت مني كنت حقاً أعنيها وأتمنى حدوثها. قلت له بصوت متحشرج:

-أيها القائد أسر... أرجوك، اقتلني الآن.

لاحظت أن نظراته تبدلت في تلك اللحظة، من نظرات التحدي إلى ظلام عميق زاد من غموض عينيه. قال ببرود كأنه يلقي حكماً لا نقاش فيه:

- "في أحلامك يا سيدة ريما، أو لنقل "يا مجرمة ريما". لن أقتلك الآن، ليس قبل أن تُثبت جميع الأحكام والأدلة عليك. وإن تبين أنك المجرمة الحقيقية، فلن أقتلك مباشرة. سوف تُحاكمن وفقاً للقانون، وبالنسبة لي... العذاب أشهى وألذ من الموت السريع. هل فهمتِ يا فتاة؟ استعدي لخوض مغامرة ستغير مجرى حياتك إلى الأبد. وختم كلامه بجملة حملت وقعاً قاتلاً في ذهني:

– الآن فقط، الآن أستطيع أن أقول إنها بداية كل شيء يا ابنة كمال.

## السجن الظالم :

بعد الحديث الذي دار بيني وبين القائد أسر، طلبت منه مجددًا أن يأخذني إلى غرفة أمي لإلقاء نظرة أخيرة عليها. ورغم نظراته المليئة بالازدراء والغضب الذي لم أستطع تفسيره سوى أنه موجه لي بسبب والدي، لم يرفض طلبي هذه المرة وأخذني إلى غرفة أمي بعد أن إنتظرنا خروج أهل أمي منها ورفض مقابلي لهم بسبب توتر الأوضاع القائمة آن ذاك ، وحينها في تلك الغرفة الباردة والموحشة، غرفة المستشفى، دخلت بينما كان القائد أسر يقف خلفي. طلبت منه أن يخرج من الغرفة ليمنحني لحظات من الخصوصية مع أمي.

اقتربت منها ببطء، رفعت الغطاء عن وجهها، وأخذت أتأمل ملامحها. كانت أمي الوردية التي أنجبتني، النور الذي رسم طريقي، واليد الحنونة التي أصبحت باردة بعدما كان دفؤها يروي جسدي وروحي. نظرت إليها بدموع حارقة وقلت بصوت متحشج:

- "أمي، أرجوكِ لا تتركيني أنتِ أيضًا... المكان مظلم جدًا من دونك."

أمسكت وجنتيها، وتأملت ملامح وجهها، وكف يدها، وبكيت بحرقه على ما يحدث. مرت حوالي نصف ساعة وأنا أودعها

بصمت موجع، حتى سمعت صوت القائد أسر يدق على باب  
الغرفة بقوة ويقول بصوت عالٍ:

- "أنتي يا ريما، يا ابنة كمال، ليس لدي اليوم بطوله لأنتظرك.  
هيا، اخرجي بسرعة! لقد مرت أكثر من نصف ساعة. لو لم أكن  
قائدًا مرموقًا في الشرطة لما سمحت إدارة المستشفى ببقائنا هذه  
المدة مع جثة هامة!"

كانت كلماته كسكين ينغرس في قلبي، يقطعه إربًا وأنا عاجزة عن  
الرد. خرجت من الغرفة بعد وداعي الأخير لأمي، ثم نظرت إليه  
بصوت مبسوح وقلت:

- "أرجوك، آخر طلب... دعني أحضر جنازة أمي في بيتنا."

توقف للحظة ونظر إليّ بتمعن، ثم قال بهدوء:

- "سأحاول، لكن الأمر شبه مستحيل. عائلة أمك قدمت طلبًا  
للمستشفى بأخذ الجثة ودفنها باعتبارها ابنتهم. وبما أنك مشتبه  
بها في قتلها، أعتقد أن المستشفى سيرفض تسليم الجثة لك.  
لكنني سأبذل جهدي."

نظرت إليه مباشرة في عينيه وقلت بثبات:

- "سأثبت براءتي، أيها القائد أسر. وستكون أول من يشهد على ذلك. وأعدك، عندما أثبت براءتي، ستتوسل إليّ كي أسامحك على كلامك الجارح، ولكنني لن أسامحك. أعلم أن الله يقف مع الحق، وطالما أنني بريئة وعلى حق، فلا أنت ولا أبي ولا حتى العالم بأسره سيمنعني من إثبات ذلك."

عمّت لحظات من الصمت بيننا بعد قولي لتلك الكلمات، ولوهلة شعرت أنني أملك الجرأة لرؤية عينيه، عيني ذلك الذئب الذي ينظر إليّ بحدة، وكأنني فريسة بين مخالبيه. لا أعلم كيف امتلكت القوة والصلابة وقتها، لكنني تحديت نظراته بقوة، وبإدلني هو بنظرات كانت توحى بأنه قد قبل التحدي الذي أعلنته له للتو. في تلك اللحظات، كانت لغة العيون هي المسيطرة، بينما صمتت الألسن.

لكن حاجز الصمت لم يدم طويلاً، إذ كسره القائد أسر أخيراً،  
بابتسامة خفيفة على شفثيه وهو يقول بكلمتين حازمتين:

- "لقد قبلتُ تحديك، يا فتاة. لنرَ كيف ستُثبتين براءتك."

رغم حدة كلماته، رددت عليه بثبات:

- "أنا السيدة ربما، وبغض النظر عما فعله والدي أو ماضيه، سأصل إلى هدفي، ولكن بأسلوبٍ الخاص. ووقتها، ستكون أنت أول من يتوسل لي طلبًا للمغفرة. ولكنني لن أفعل."

ارتفعت ضحكاته عاليًا، ضحكة ساخرة أشعرتني وكأنها سيف يخترق كبريائي. نظر إليّ بازدراء، ثم قال:

- "أعجبتني يا فتاة. رغم لسانك السليط والوقح، إلا أنك تجيدين لغة التحدي. يبدو أن هذا هو الشيء الوحيد الجيد فيك. ولكن دعيني أخبرك بشيء:

-القانون لا يظلم أحدًا. وطالما أنا المسؤول عن هذه القضية، فاطمئني، ستحصلين على ما تستحقينه... أو ربما أكثر. سواء كان عقابًا أو براءة."

توقف لبرهة، ثم أردف بنبرة أكثر حدة:

- "صحيح أنني أكنّ الكثير من الحقد لأبيك، لكنه ليس السبب الوحيد. ومع ذلك، لا أخلط بين القانون ومشاعري الشخصية. سأكشف الحقيقة مهما كانت. لكن إن حاولت تجاوزي أو الاستهتار بالقضية، فسأتعامل معك بلغة لا يحبها القانون ولا تحببها أنت. لغة يعرفها والدك جيدًا. أتفقنا؟"

نظرت إليه لوهلة، والدهشة تغمرني. فكرت في نفسي:

- هل هذا الرجل مجنون؟ كيف يزعم أنه مع القانون والعدالة ثم يهددني بلغة لا تحبها العدالة؟ هو بالتأكيد مختل!

قطع حبل أفكارني بحركة مفاجئة بيده، ففرقع أصابعه أمام وجهي ليعيدني من شرودي، وقال:

- "هاي! لا تقولي لي إنك خفتي. يبدو أنك فتاة سهلة. منذ قليل كنت تتحديني وكأنك وحش يمتلك العالم، والآن تبدين مدعورة!"

أجيبته بثبات:

- "لم أخف، كنت فقط أفكر كيف لقائد مخبول مثلك أن يصبح قائداً. كيف تكون مع القانون وتهددني بلغة لا يحبها القانون؟ هل هذا تهديد صريح؟"

رد بابتسامة ماكرة:

- "عندما أقول لغة لا يحبها القانون، لا يعني ذلك أنني سأفعل شيئاً خارج القانون. إنها فقط لغة خاصة بي."

فقلت له بجدة:

- "ولكنك قلت إن هذه اللغة يعرفها أبي جيداً. ألا يعني هذا أنك تعلم الكثير عنه وعن ماضيه؟ وإن كنت تراه مجرمًا في نظرك، كيف تعرف لغته؟"

عندها، تبدلت نظراته، واتسعت عيناه قليلاً وكأنني أصبته في موضع ضعف. رد بغضب مكتوم:

- "يا فتاة، لا أريد الدخول معك في جدالات صبيانية. التزمي حدودك، وإلا فلن أكون متساهلاً معك. الآن، لنر من سينتصر، أنا أم أنت؟"

نظرت إليه باستغراب وقلت:

- "كيف؟"

ابتسم ببرود وقال:

-ستعرفين قريباً. في الواقع، ستعرفين الآن."

في لحظة خاطفة اقترب مني، أمسك بيدي بقوة، ويلمح البصر وجدت يدي مكبلة بأصفاة حديدية. نظرت إليه بذهول وقلت:

- "ماذا تفعل؟! ليس لديك الحق في تكبيلي!"

اقترب أكثر، حتى أصبح وجهه قريبًا جدًا من وجهي، وهمس ببرود:

- "نظاهري بأنك مستسلمة لي. هناك من يراقبنا. هذه هي طريقي لتشتيت انتباههم."

رددت عليه بغضب:

- "ولكن هذا ليس ضروريًا! بإمكانك أن تخبرهم مباشرة!"

قال بنبرة حادة:

- "صمًا! تكبيك إجراء قانوني لكونك مشتبهًا بها. أما الآن، عليّ أن أظهر أنك تحت سيطرتي. هؤلاء المراقبون قد يكونون أعداء والدك أو حتى أعدائي. دعيني أتعامل مع الموقف."

ابتعد بخطوات قليلة، وابتسامة نصر وغرور على وجهه، ثم قال:

- "كنت أظن أن الملحمة ستبدأ غدًا، لكن يبدو أن أعداء والدك لا ينتظرون طويلًا. الآن، أنت أصبحت فريسة للجميع. لرجال القانون... ولرجال أعداء القانون. فاستعدي، يا ابنة كمال".....

بعد تلك الكلمات التي ألقاها على مسامعي القائد أسر، ومع يدي  
المكبلتين بالأصفاد، أمسك بكتفي بخفة وأمرني قائلاً:

- "فلتسير أمامي."

نظرت إليه للحظة ثم سألته:

- "إلى أين؟"

فأجاب بصرامة:

- "إلى مركز الشرطة حيث أعمل."

ترددت للحظة قبل أن أقول له:

- "ولماذا تأخذني إلى مركز الشرطة؟ ما الذي تنوي فعله؟ أريد  
البقاء مع أمي في المستشفى... أريد تحضير جنازتها، أرجوك."

كانت تلك أول مرة أترجاه فيها، وأول مرة أشعر بهذا الكم من  
الضعف والعجز. وكأن حياتي وكل ما أملك أصبح في يد هذا  
الرجل القاسي الذي يقف أمامي.

نظر إليّ باستهزاء وقال:

- "منذ قليل كنتِ تتحديني، والآن تترجّيني؟ لماذا لم تواصلني  
ادعاء القوة؟ تعلمين جيداً أنني فقط أنجز عملي. وذهابك معي

إلى مركز الشرطة هو لحمايتك من أعداء والدك ريثما تتم محاكمتك. كما أنك، وكما أخبرتك، مشتبه بها رئيسية في الجريمة. لهذا، عليك أن تتوقعي أنك ستودعين حياة الرفاهية والحرية حتى تنتهي المحاكمة ويتم اتخاذ القرار النهائي."

ثم أضاف بنبرة مليئة بالسخرية:

- "وطالما التحقيقات لا تزال قائمة، أنتِ مشتبه بها وحمايتك واجب الشرطة. صدقيني، لولا ذلك، لكنتِ الآن فريسة سهلة لأعداء والدك. عليك أن تحمدي ربك أنني رجل قانون ولست عدواً له."

تملكتني الصدمة للحظة، لكنني تمالكته سريعاً وقلت له: "حسناً، إذا ذهبت معك إلى مركز الشرطة، هل سأتمكن من حضور جنازة أمي؟"

نظر إلي بعينين باردتين كبرود الثلج أو أشد قسوة وقال: "

-لا أعلم. حتى لو سمحوا لك بحضور الجنازة، فلن تكوني حرة. ستذهبين بصفة مشتبه بها، مكبلة اليدين، وبرفقة رجال الشرطة، وأنا على رأسهم. ستظهري أمام الناس ليس كابنة المتوفاة، بل كمجرمة. هذا بالطبع إن وافقت عائلة والدتك على حضورك أساساً."

أجبتُه بغضب على كلماته المستفزة وكأنني أحاول إقناع نفسي أن هذا المجنون جاهلٌ حتى في كلامه:

- "بالطبع سيوافقون، إنها أمي، ولا يملكون الحق في منعي من رؤيتها!"

رد ببرود وكأنه يسخر من كلماتي قائلاً :

- "لقد رأيتها بالفعل قبل نصف ساعة. لم أسمح لك برؤيتها من باب الشفقة عليك، وإنما لوجه الله، ولكي لا تسبني لي صداعاً بالبكاء والصياح." ثم أضاف بصرامة:

- "والآن، الزمي الصمت ودعيني أؤدي عملي، ولا مزيد من الأسئلة."

توقف لبرهة وألقى نظرة حادة على المكان من حوله، ثم قال بنبرة صارمة: "يجب علينا الرحيل فوراً..."

خرجنا أنا والقائد أسر من المستشفى، وكان ينتظرنا بعض رجال الشرطة أمام سياراتهم. بعد أن لمحو وجودنا ألقوا التحية على القائد أسر، و تقدم أحد رجال الشرطة ليأخذني إلى سيارة الشرطة التي تحتوي على سجن صغير داخلها. تشبه السيارة نوعاً ما سيارة الإسعاف، ولكن الفرق بينهما هو أن هذه تحتوي على

مقعدين، أحدهما للسائق وجوارها مقعد لشخص آخر. أما باقي أنحاء السيارة فتحتوي في داخلها على أسلاك حديدية تشبه السجن . كان الشرطي يتقدم نحوَي ليأخذني بيده، لكن يد واحدة فقط كانت تعيق ذلك. نعم لقد كانت يده، عندها قال القائد أسر بصرامة:

- "هل أمرتك أن تأخذها إلى السيارة؟"

أجاب الشرطي بتوتر:

- "لا سيدي القائد".

فقال له أسر:

- "إذن لا تفعل ما لم أمر به مجدداً، وإلا فستعرف عقابك".

فرد عليه الشرطي باحترام:

- "حاضر يا سيدي القائد"، ثم توجه الشرطي إلى السيارة.

ونظر إليّ القائد أسر وقال:

- "أنتِ يا فتاة، ستراقبيني".

لم أجب، كل ما فعلته هو أنني أنزلت رأسي وهممتُ له قليلاً كنوع من الاستجابة لكلامه . تبعته إلى السيارة، ففتح لي الباب.

ركبت في السيارة، ثم أغلق الباب وتوجه مرة أخرى إلى مقعد القيادة. ركب السيارة معي، وأخذ يقودها متجهًا إلى مقر الشرطة و خلفنا سيارتان من رجال الشرطة يتبعون أوامر القائد أسر. مرّت دقائق قليلة، لكنني شعرت وكأنها ساعات. كنت أراقب الطريق عبر النافذة وأفكر في نفسي : إلى متى ستزداد الأمور سوءًا؟ ما الذي سيحدث الآن؟ هل أنا حقًا مجرمة في نظر الجميع؟ بعد دقائق معدودة، توقفنا أمام المقر. قال لي القائد أسر بصرامة ممزوجة ببعض الصراخ:

-انزلي الآن يا فتاة، ولا تحاولي الهروب، فهناك رجال شرطة في كل مكان ولن يكون الهروب في صالحك". نظرت إليه بنظرة ساخرة، وأجبت: "يا لك من مجنون، لو كنت أنوي الهروب منذ البداية، لما جئت معك، هل حقا تظن أنني سأهرب من شخص مثلك! أسفة على الدولة لأن لديها قائداً مثلك يمثلها". فقال لي بصرامة:

-كنت قد قلت لك التزمي حدودك، لا تجعليني أفعل ما لا يرضيك". ثم نزل من السيارة، ونزلت أنا أيضًا معه. ترجلنا إلى داخل مركز الشرطة. دخلت من الباب وشعرت بشعور غريب. نظرت حولي، فوجدت عددًا من رجال الشرطة يعملون بجهد حول قضايا متعددة. ثم نظرت إلى القائد أسر الذي بدا أنه يحظى بشعبية كبيرة بين رجاله، فمتمهم من كان يحييه ومتمهم من كان

يقول له أنهم استلموا قضايا شديدة ويريدون منه أن يتولاها. نظر إليّ وقال: - " أنتي أنظري هذا هو المركز الذي أعمل فيه، ويبدو أنك ستعودين عليه قريبًا". وأثناء كلامه لاحظت مجيء رجل إليه وهو يضحك معه، يبدو أنه شخص يعرفه جيدًا. "أه، لقد تذكرت! هذا هو نفس الرجل الذي اقتحم بيتنا مع رجال الإسعاف يوم ماتت أمي". نادى الرجل عليه قائلاً:

- "هاي أسر، لقد تأخرت قليلاً، ما بالك؟ نحن ننتظرك منذ ساعة". فرد عليه أسر بنظرة لطيفة نوعًا ما، لم أكن قد رأيتها عليه من قبل:

- "هيا يا رائد، كفاك مزاحًا، نحن الآن في قضية جدية، وأنت ما زلت تهزول هكذا كالطفل. أحيانًا أعجز عن فهم سبب قبولك في هذا المركز، أنت طفل بعقل صغير". فقال له ذلك المسعى برائد:  
- "يبدو أنك لا تعرفني جيدًا. لا أتذكر كم مرة أنقذت فيها حياتك يا أسر أو شاركت معك في مهمة ولم أكن مفيدًا. أنت لا تنكر ذلك، أليس كذلك؟

كما أنني شريك طفولتك وأعلم كل شيء عنك. فلا تقم بهذا المزاح الثقيل معي، بالنسبة لك أنا طفل، حسنًا، أنا رجل كبير بعقل طفل صغير". فرد أسر ضاحكًا:

- "لا أعلم إن كنت تمدح في نفسك أم تضع نفسك مسخرتاً بين الجميع". كانا يتحدثان وكأنهما أخوان، لم أصدق أن القائد المغرور والصارم يمكنه التحدث والضحك هكذا. ثم نظر إليّ المدعو رائد وقال: "يبدو أنك أحضرتها حقاً، يا أسر، أنت حقاً لا تريد التوقف، أليس كذلك؟". تغيرت نظرة أسر وتحولت من اللطف والصفات العادية إلى نظرة صرامة وبرود، ثم نظر إليّ وقال وهو يتحدث مع رائد: "لقد قلت لك يا رائد، ستكون هذه الفتاة طريقي إلى السيد كمال". فرد رائد، وهو ينظر في عينيه: "أسر، انظر إليّ"، فرد عليه أسر بنظرة متغيرة: "ماذا أخبرتك في السيارة ذلك اليوم؟". فأجاب أسر: "هيا صاحبي، جدياً! لقد حفظت كلامك ألف مرة، أنا فقط أمزح قليلاً مع هذه الفتاة". فقال القائد أسر: "رائد، ليست من صفاتك المزاح، أنت تعلم جيداً خطورة الموقف الذي نحن فيه، والعالم الذي تريد دخوله ليس عالم شخص عادي. أنت تعلم علاقته بماضيك وكل شيء". كان رائد يواصل كلامه حتى قاطعه أسر قائلاً: "اصمت! هل تريد أن تروي لها قصة حياتي الآن وأمامها؟". ارتبك القائد رائد قليلاً، ثم نظر إلى أسر وقال له: "أنا سوف أذهب، سأصل بك لاحقاً يا رجل، لدي ما أريد التحدث به معك". همهم القائد أسر بموافقة، وذهب رائد. ولكن قبل أن يرحل، نظر إليّ بنظرة كأنها تعبير عن شففته ويأسه، ثم خرج مع بعض رجال الشرطة إلى الخارج

وانطلق في سيارته. جاء لي أسر، وأمسك بيدي وقال لي: "الآن، اتبعيني".

تبعته بخطوات هادئة، وأنا أنزل رأسي مشفقةً على حالتي. كنت بين الحين والآخر أرفع عيني خلسة لأنظر إلى هذا القائد المجنون وأتساءل إلى أين سيأخذني. توقفنا أمام غرفة صغيرة تحتوي على باب ضيق، بدت لي وكأنها مخزن أو مكان مهمل. التفت نحوي وقال بهدوء ممزوج بالصرامة:

- "ستبقين هنا، وسنجري معك بعض التحقيقات حتى نصل إلى تفاصيل الجريمة وتُعرضي على المحكمة القضائية".

توقفت للحظة أستوعب كلماته، ثم قلت بدهشة:

- "مهلاً، هل تقول إنني سأبقى في مركز الشرطة إلى حين محاكمتي، وأنا مكبلة اليدين كالسجينة؟" فأجاب برود: "نعم".  
حينها صرخت بغضب:

- "أنت مجنون! هل تعني أنك ستقوم بسجني؟!"

رد عليّ بنظرات صارمة وهدوء قاتل:

- "أنتِ مشتبه بها. ستبقين في هذه الزنزانة الصغيرة في المركز إلى أن تُستكمل إجراءات التحقيق ويتم تحديد الجاني الحقيقي. وإن

ثبت أنك المذنبة، فستُعرضين على المحكمة وتحكم عليك بالسجن في سجن المدينة.

عل كل حال لدينا غرفتان فقط في المركز: واحدة للتحقيق، والأخرى للسجن المؤقت. هذه الغرفة ستكون مكانك حتى نحصل على التصاريح اللازمة لبدء التحقيقات معك ومعرفة ملابس الجريمة.

انفجرت غاضبة وصرخت في وجهه:

- "أنت مجنون هوسك بأبي جعلك مجنون بالكامل! ولكن ليكن في علمك لن أقبل أن أسجن هنا! فكّ هذه القيود الآن ودعني أذهب إلى جنازة أمي!"

وفي تلك اللحظة صوته ارتفع بصراخ حادة قائلاً:

- "اصمتي ولا تُكثري الحديث. إنها إجراءات قانونية، والقانون فوق الجميع. وبالمناسبة، لن تكوني وحدك في هذه الزنزانة، هناك شخص آخر موجود بداخلها. ستشاركينه المكان."

ارتعش جسدي رعبًا عند سماع كلماته، وبدأت الأفكار تهاجمني:

- من هو هذا الشخص؟ هل هو مجرم خطير؟ لص؟ متحرش؟ لا أعلم من يكون، وكيف سأجلس معه في نفس الغرفة؟ نظرت إليه بتوسل وقلت بصوت منكسر:

- "أرجوك، لا أريد البقاء هنا. دعني أذهب إلى جنازة أمي. إنها المرة الأخيرة التي سأترجاك فيها."

رد عليّ بنبرة ثابتة:

- "أتفهم حزنك، لكن عليك أن تتفهمي القانون. أنا رجل قانون، ولن أكسره مهما كانت الظروف. وحتى إن أردتُ كسره، فلن أفعل ذلك من أجل فتاة قد تُثبت التحقيقات أنها مجرمة."

ثم أضاف بابتسامة ساخرة:

"لا تقلقي. الشخص الموجود في الزنزانة يبدو مسالماً. وإن حاول إيداعك، فأنتِ تجيدين الصراخ، فقط اصرخي وسيأتي رجال الشرطة. مع لسانك السليط هذا، لا أظن أنه سيفعل شيئاً. في الواقع، أعتقد أنه سيصاب بالصداع منك. يا للرجل المسكين!"

نظرت إليه بدهشة، لا أدري إن كان يسخر مني أو يمزح أو أنه ببساطة مجنون. ثم فتح باب الغرفة وأشار لي بيده قائلاً:

- "هيا، تقديمي ولا تضيعي وقتي."

تقدمت بخطوات ثقيلة، والخوف يسيطر على كل جزء من جسدي. لم أستطع تخيل ما ينتظرني، لكنني توقفت فجأة، مصدومة مما رأيت. كان الشخص الموجود في تلك الزنزانة أعرفه حق المعرفة نعم إنه ذلك الشخص لقد كان....

كانت هيئة ذلك الشخص مألوفة جدًا بالنسبة لي، ملامحه،  
وقفته، شكله... كان ذلك الشخص هو عمي فارس.

صدمت مما رأيت حقًا، وبدأت الأسئلة تتراحم في رأسي: ما الذي  
يفعله عمي هنا؟ لماذا هو مكبل مثلي؟ ماذا يجري؟

في تلك اللحظة، تقدم أسر، الذي كان يقف ورائي، باتجاه عمي  
فارس وقال له بكل احترام:

- "أنا آسف، أيها العم. يبدو أن رائد قد كبلك بالفعل. سأفك  
قيودك الآن، أرجوك فقط أن تبقى هادئًا إلى أن تنتهي كافة  
الإجراءات."

رد عليه عمي فارس بابتسامة هادئة:

"كان الله في عونك، يا ولدي. أنا أفهم شعورك جيدًا، فلا تقلق.  
وإن كان فك القيود عني سيسبب لك أي مشاكل، فلا تفعل."

أجابه أسر بنفس الاحترام الذي تحدث به في البداية

-: "لا تقلق، أيها العم. أنا المسؤول عن هذا المركز وهذه الكتيبة.  
كل شيء هنا يجري بأمرني، ولن أحاسب عليه طالما لم أخالف  
القانون. الآن سأزيل عنك هذه القيود احترامًا لك."

ثم أكمل بنبرة ساخرة وهو ينظر إلي:

- "أما هذه الفتاة سليطة اللسان، فستبقى مكبّلة."

ضحك عمي فارس قليلاً وقال له:

- "بني، أرجوك، إنها فتاة لطيفة ومؤدبة. فقط ضع في اعتبارك الظروف التي تمر بها."

لكن ملامح أسر تغيرت فجأة. عادت صرامته المعهودة، وتحوّلت عيناه إلى نظرات حادة. نظر إلي ببرود ثم أعاد نظره إلى عمي فارس وقال بنبرة قاطعة:

- "أيها العم، هذه الفتاة هي المشتبه بها الرئيسي في القضية. لن أزيل قيودها أبداً. إنها سليطة اللسان، كثيرة الكلام، وفوق كل ذلك، مشتبه بها بأنها مجرمة. إلى أن تنتهي التحقيقات، ستظل مكبّلة."

ثم أضاف بصوت صارم:

- "وأعلم أنك كنت سائقها وتعرف والدها جيداً، بل تعرف ماضيه أيضاً. لهذا السبب، ستبقيان أنتما الاثنان في هذه الزنزانة إلى أن تنتهي جميع التحقيقات وتبين لنا من هو المجرم الحقيقي. سواء كان أحدكما، كلاكما، أو حتى لا أحد منكما، سنضع كل

الاحتمالات ونطبق القانون كما يجب. سأكون أنا شخصيًا  
المسؤول عن هذه القضية. وفوق هذا الكلام لن أقول شيئًا آخر  
ونظر إلي بغضب، ثم أعاد النظر إلى عمي فارس وقال بنبرة جادة:  
- "أعدك بأن كل مجرم سيأخذ جزاءه كما ينبغي."

بعدما أنهى أسر كلماته، شعرت بشيء غريب يدهمني. كان  
إحساسًا لا أعرف إن كان جيدًا أم سيئًا، لكنه سيطر عليّ لأول  
مرة. كل ما أدركته أنني في ورطة كبيرة، وبدأت أتساءل: هل  
سأخرج منها يومًا، أم أنني سأسجن ظلمًا؟

خرج القائد أسر، تاركًا الغرفة لي ولعمي فارس. حينها انهزت  
بالبكاء وقلت له بحرقة:

"يا عمي فارس، ما ذنبنا؟ ماذا فعلنا لنصل إلى هنا؟ بينما الجميع  
يحضر جنازة أمي، أنا مكبّلة وكأني مجرمة في السجن حقًا! حتى  
أنني لا أستطيع رؤيتها لوداعها للمرة الأخيرة!"

حاول عمي مواساتي بكلمات حنونة، لكنني بالكاد كنت أسمعها  
بسبب حزني العميق. كنت أحتاج إلى تلك الحنية، لكن من  
شخص آخر... من والدي. هل هو حقًا يستحق أن أناديه "أبي"؟

مرت الأيام ، والغرفة الموحشة أصبحت جزءًا من كوابيسي.  
الجدران المتشقة، والسقف الذي يبدو وكأنه سهوي في أي  
لحظة، والسرير الحديدي المتهاك، كل شيء كان يُشعرنني  
بالضيق.

بعد أربعة أيام من التحقيقات المتواصلة، جاء القائد أسر إلى  
الغرفة. ولكنه لم ينظر إليّ، بل توجّه نحو عبي فارس وقال  
باحترام:

- "أيتها العم، اليوم سيتم تسريحك، ولكن تحت رقابة الشرطة.  
ستُفرض عليك بعض القيود، مثل تحديد أوقات خروجك  
ودخولك، حتى يتم إصدار الحكم النهائي."

ثم التفت إليّ بنظرة لم أفهمها، وقال:

- "أما أنتِ يا ريما، ستبقين هنا حتى محاكمتك."

كانت كلماته صاعقة، حطمت كل آمالي. ولم ألاحظ نفسي عندما  
صرخت بوجهه:

- "ماذا تعني بمحاكمتي؟ ماذا تقصد؟"

لكن أسر تجاهلني، ووجّه حديثه إلى عبي فارس قائلاً:

-تفضل معي إلى الخارج من أجل توقيع بعض الأوراق لتأكيد خروجك."

فأمسك عمي فارس بكتفه وقال له بصوت متهدج:

- "بني، هل فعلها؟ هل ناداك؟"

شعرت أنني غريبة بينهما، وكأنني أستمع إلى حديث مشقّر لا أفهمه. لكن أسر أجاهه بهدوء:

- "نعم، لقد فعلها أخيراً."

نظرت إليهما بدهشة وقلت:

"من الذي ناداك؟ عن ماذا تتحدثان؟" من نادى من؟

لكن عمي فارس نظر إليّ مطمئناً وقال:

"لا تقلقي يا بنيّتي، الفرج قريب بإذن الله "

ثم نظر أسر إليّ بنظرة مختلفة تماماً هذه المرة، وكأن شيئاً ما تغيّر داخله، ثم قال بصوت هادئ يحمل في طياته غموضاً:

- 'يبدو أنك لست فتاة سهلة كما كنت أعتقد.'

توقف للحظة وكأنّه يختار كلماته بعناية، ثم أضاف:

'ويبدو أيضًا أنك ستخرجين من هذه الزنزارة، أو كما أطلقتِ  
عليها... بالسجن الظالم.'

## أسر

بعد رؤية ذلك المنظر في منزل السيد كمال، وتلك الفتاة التي بدا صوتها يتلاشى تدريجيًا حتى فقدت وعيها بعد أن أعطاهما رجال الإسعاف بعض المهدئات، تم نقل الجثة إلى المستشفى. طلبت من رائد الحصول على تصريح لتحليل الجثة التي تعود إلى زوجة السيد كمال المختفي. خرجنا من مسرح الجريمة، وأخبرت رائد أن يتولى باقي الإجراءات.

لكن ما لفت انتباهي كان ذلك العجوز الذي يعرف اسم أمي ويعرف ابن من أكون. لذلك، طلبت من رائد إلقاء القبض عليه أيضًا باعتباره مشتبهًا به في الجريمة.

ذهبت مع رجال الإسعاف إلى المستشفى لاستكمال الإجراءات القانونية. تبين أن الفتاة فقدت وعيها نتيجة الصدمة، ونامت لأكثر من 15 ساعة. خلال هذه الفترة، استلمت نتائج التشريح، التي كانت سريعة بسبب الإجراءات الطارئة التي قمت بتقديمها لإدارة الشرطة وإدارة المستشفى.

أكدت نتائج التشريح أن الضحية تعرضت للقتل بعدة طعنات. كما أظهرت التحقيقات وجود بصمات على ملابس الجثة تعود إلى تلك الفتاة النائمة في سريرها. هذا جعلها المشتبه به الرئيسي.

توقعت ذلك مسبقًا، لأنني كنت واثقًا أنها ستكون الخيط الذي يقودني إلى والدها.

خلال تلك اللحظات، رأيت أهل أمها يتوافدون إلى الغرفة وهم يبكون. لكن، بدا أن شخصين فقط كانا يبكيان بصدق على الجثة: شقيقتها وابنة شقيقتها.

انتظرت بفارغ الصبر أن تستفيق تلك الفتاة، فقد كنت بحاجة إلى استكمال التحقيقات معها. وبصراحة، للحظة تمنيت أن تكون هي المجرمة، فقط لأشفي غليلي من والدها.

عندما استيقظت الفتاة، بدت مرتبكة نوعًا ما. كنت أراقبها من بعيد. لاحظت أنها خرجت من الغرفة وهي تبحث عن شيء ما. عندها شعرت بضرورة التدخل خوفًا من أن تهرب. فتدخلت وواجهتها ببعض الكلمات الجارحة. تبين أنها كانت تبحث فقط عن والدتها، وكان ذلك طلبها الوحيد.

أشعر بشيء غريب تجاه هذه الفتاة. رغم ضعفها الواضح، إلا أن قوة عينها أكبر من حجمها. ورغم قلة حيلتها، إلا أن هناك شيئًا غريبًا فيها لم أره في أي فتاة من قبل.

بعد طلبها الملح في رؤية والدتها، كنت قد أخذت بعين الاعتبار قبل استيقاظها أن هذا سيكون أول طلب لها. ومن باب الرحمة

والإنسانية التي يجب أن يتحلى بها رجال القانون، أوصيت إدارة المستشفى بالسماح لها بزيارة الجثة لوقت محدود. لكنني لم أتصور أن هذا الوقت سيمتد لنصف ساعة كاملة.

منذ دخولها إلى الغرفة، ظلت تبكي بحرقة، تناجي الله وتدعو أن يرحم والدتها، وتحادثها وكأنها على قيد الحياة. كانت كلماتها مؤثرة للغاية، لدرجة أنني شعرت بذكريات الماضي تهاجمني، تلك الذكريات التي كنت قد عاهدت نفسي أن أنساها. لكن بسبب هذه الفتاة، يبدو أنها عادت بقوة.

بعد نصف ساعة كاملة، قاطعت نحيبها، وأمرتها بالخروج من الغرفة، فهذا الوقت تجاوز الحد المسموح به من قبل إدارة المستشفى، خاصة في مثل هذه الحالات. خرجنا من الغرفة، وتوقفنا لبعض الوقت في حديقة المستشفى.

هناك، تبادلنا بعض الأحاديث. ومن خلال كلماتها ونبرتها، تأكدت أن حزنها وألمها كانا حقيقيين. ومع ذلك، لم أستطع الوثوق بها، فهي ابنة أكبر أعدائي، وجنس النساء عموماً يصعب تصديقه أو هكذا كنت أعتقد.

وأثناء حديثنا، لاحظت حركات غريبة في الأرجاء. بدا لي أننا تحت المراقبة. لم أكن متأكدًا من هوية المراقب، أو إن كان يشكل

خطراً. لكن كشرطي، كان واجبي حماية المشتبه بها حتى تظهر الحقيقة.

لذلك، ورغم رفضها القاطع، قمت بتكبييل يديها من جديد للتأكد من السيطرة على الوضع. ثم غادرنا المستشفى تماماً، متوجهين إلى مركز الشرطة، حيث كان علينا إكمال التحقيقات والاقتراب أكثر من كشف الحقيقة.

بينما جلست خلف مقود السيارة، كنت أتأمل تلك الفتاة بنظرات خاطفة بين الحين والآخر. كانت غارقة في عالمها الخاص، وكأنها نسيت وجودي تماماً. نظرتها المشتتة وعيناها المغرورتان بالدموع كانتا تعكسان صراعاً داخلياً عميقاً. بدا الأمر كما لو أنها تتحدث إلى نفسها بصمت، تبحث عن إجابة وسط فوضى أفكارها.

قطع تفكيري صوت إشعار على هاتفي. ألقيت نظرة سريعة على الشاشة، وبمجرد قراءة الرسالة، تسللت ابتسامة بالكاد تُرى إلى شفتي. كان رائد قد أرسل لي خبراً مثيراً: "لقد ألقى القبض على الرجل الذي كان في المنزل مع الفتاة يوم الحادثة". شعرت بتيار من الفضول يتسلل إلى داخلي، يدفعني للتفكير بعمق أكبر في هوية هذا الرجل.

ما جعل الأمر أكثر إثارة هو تفصيل بسيط لكنه مُربك: ذلك الرجل يعرف اسم أمي. اسمها ليس مألوفًا لدى كثيرين، فهو ذكرى من زمن بعيد طواه النسيان، ونادرًا ما يذكره أحد. كيف له أن يعرف؟ وما الذي يربطه بهذه القضية التي بدأت تأخذ منعطفات غير متوقعة؟

بين هذه التساؤلات، كانت السيارة تسير بهدوء عبر الطرقات، لكن عقلي كان يسابق الزمن، يحاول فك شيفرة هذا الغموض الذي بدأ يحكم قبضته على كل خيوط القضية.

وصلنا إلى مركز الشرطة، وعندما توقفت السيارة، تأكدت أن ربما قد استعادت وعيها تمامًا من خلال لسانها السليط الذي لم يكفّ عن الكلام. رغم ارتباكها الواضح، كانت تحاول بحديثها المستمر إثبات شجاعتها أو ربما كسر حاجز الخوف. قطعت عليها محاولتها هذه بأمر صارم للنزول من السيارة، ولم يكن أمامها سوى الطاعة.

دخلت المركز بخطوات ثابتة وواثقة، بينما تبعني ربما بمحاولة يائسة للحفاظ على رباطة جأشها. استقبلي رجالي عند المدخل بتحية رسمية، فبادلتهم إيماءة صغيرة، ثم أمرتهم بوضع مسافة محترمة بينهم وبينها. لم يكن ذلك فقط لإعطائها مساحة للتنفس، بل أيضًا احترامًا للتقاليد وتعليمات ديننا الإسلامي.

ما إن عبرت الباب حتى وجدت رائد في انتظاري، وكعادته، استقبلي بابتسامته العفوية ومزاحه الخفيف الذي كان دائماً يُخفف الأجواء. لاحظت نظراته تتنقل بيني وبين الفتاة خلفي، نظرات مليئة بالدهشة والفضول. أما ريماء، فقد كانت متوترة بوضوح، لكنها أبت أن تُظهر استسلامها، كمن يرفض الانكسار حتى وهو على وشك السقوط.

"أمرتها بالذهاب معي، وأخبرتها أنها ستسجن مؤقتًا إلى أن تتم باقي التحقيقات. أخبرتها أيضًا أنها لن تكون وحدها في السجن، بل سيشاركها شخص تعرفه جيدًا، لكنني لم أخبرها بأنها تعرفه، بل قلته في نفسي. أخبرت الفتاة أنها ستسجن في غرفة لدينا هنا في المركز برفقة شخص، مما بدا على تعابير وجهها الخوف الجديد. ترجّتي أن أطلق سراحها وأن أتركها تذهب إلى جنازة أمها، لكن القانون يبقى قانونًا. بمجرد فتح الباب، رفضت في البداية الدخول إلى الغرفة، فدفعتها قليلاً بيدي دفعة خفيفة جدًا، مما جعلها تنظر إليّ بغضب، ودلفت إلى داخل الغرفة لتكتشف ذلك الرجل الذي تبين أنه سائق والدها، أو ما يُسمى بالعم فارس. دلفت أنا أيضًا داخل الغرفة ورأيتة جيدًا. تبادلنا النظرات، ثم تقدمت إليه بكل احترام باعتباره رجلًا كبيرًا في السن وبمقام والدي. فككت السلاسل الحديدية عنه، فقد كان مكبلاً، ويبدو أن رائد قد كبله جيدًا. أخبرته أنه سيقى هنا إلى أن يتم إجراء كافة التحقيقات، وقد أوماً بالموافقة. بدا أنه إنسان متفهم وسيتعاون معنا. ثم غادرت القاعة متوجهًا إلى مكثي لأكمل باقي الإجراءات، حتى اتصل بي رائد. بدا من صوته الارتباك قليلاً، فقال لي إنه يحتاجني في أمر ضروري جدًا، وأنه يجب أن نلتقي في مركزنا السري. نعم، كان لدي أنا ورائد مكان مفضل نذهب إليه عندما نكون في مزاج سيئ أو للتركيز على القضايا المعقدة أو

للدراسة عندما كنا في أيام الجامعة. أخبرته في الهاتف أنني سأكون هناك بعد حوالي ساعة، فلدي الكثير من العمل، لكنه أجابني بسرعة قاتلة قائلاً:

- "تعال الآن، تعال الآن يا أسر، يجب عليك معرفة شيء مهم. هل تعرف من اتصل بي؟" فقلت له بنبرة يتخللها الغموض:

- "ماذا تعني من اتصل بك؟ هيا، أخبرني." فقال بتردد شديد:

- "أسر، لقد اتصل بي السيد محمود، والدك، وهو يريد مقابلتك في أقرب وقت." بمجرد سماعي كلمات رائد، شعرت بصدمة كبيرة، كنت على وشك إسقاط الهاتف من يدي لولا تمكني من تدارك الوضع. هل حقًا اتصل بك والدي بعد كل ما فعله الشيطان كمال بعائلي؟ بعد كل هذه السنين؟ بعد كل ما حدث؟ بعد تشتت العائلة وتفككها؟ بعد أن أمضيت حياتي معظمها وحيدًا، وكل تلك الأحداث التي فعلها الشيطان كمال في حياتنا؟ الآن والدي يتصل بك؟ ما السبب يا ترى؟ هل يريد الاعتذار مني؟ أم أنني أواجه شيئًا أكبر من ذلك؟ هل هذه الفتاة ستكون وصمة تغير مجرى حياتي؟ وبينما كنت أسترجع هذه الأفكار، قطع حبل أفكاره صراخ رائد على الهاتف قائلاً:

- "أسر، أجبني، أين أنت؟" فأجبته فورًا:

-رائد، إن كنت تمزح، فأني حقًا سأقتلك وأصبح أنا المجرم!"  
فأجابني رائد بنبرة متخوفة قليلاً:

"لا يا أسر، حقًا، لقد اتصل بي والدك، السيد محمود، وهو يريد مقابلتك. وأنا طلبت منك أن تأتي إلى مكاننا السري حتى نناقش سبب هذا الاتصال. كما أنني أعطيته رقمك الشخصي."

هنا انفجرت غضبًا على الهاتف:

- "كيف تتجرأ على إعطائه رقم هاتفي دون إذني؟" فأجابني رائد:

- "إنه والدك، وأنت تعلم مكانته وهيمته وقوته. لا أريد المخاطرة بحياتي. يكفيننا أننا نحقق في جريمة بالكاد نعلم إن كنا سنخرج منها أحياء." ساد الصمت بيننا للحظات، شعرت وكأن الدنيا تلف من حولي، وكأن الماضي يعيد تكرار نفسه. يبدو أنني على وشك دخول ملحمة لا نهاية لها. أخبرت رائد آتي فورًا إلى مكاننا السري، متجاهلاً جميع أعماله وقضاياي وحتى التحقيقات مع الفتاة والعم. و أخبرني رائد أنه سينتظرنني بفارغ الصبر. ومن هنا فصلت الخط عن رائد، حملت أغراضي، مفتاح سيارتي وسلاحي احتياطًا لما سأواجهه، وتوجهت مسرعًا إلى سيارتي وفي عقلي حرب من الأفكار تراودني. بعد كل هذه السنين، والذي هو من اتصل

بصديقي ليحصل على رقيعي، وليقابلني، وليس وحدي أيضًا، بل مع صديقي رائد. أشم رائحة الشيطان كمال في هذا الاتصال.

توجهت مسرعًا إلى مكاننا السري وفي عقلي حرب من الأفكار تكاد لا تنتهي. وما هي إلا لحظات حتى لمحت رائد في تلك المنطقة، بدا على وجهه القلق وكان ينتظرني بفارغ الصبر. وما إن لمح سيارتي حتى هرع إليّ مسرعًا. فتحت الباب ونزلت، ثم أمسكته بكلتا كتفيه وأنا أنظر مباشرة إلى وجهه بقلق وفضول شديدين لما سيقوله. فقال لي رائد:

- "يجب علينا اتخاذ الحذر منذ الآن فصاعدًا."

فأجبتته بنظرة غاضبة بعض الشيء:

- "هيا يا رائد، اختصر لي، ماذا قال لك والدي؟"

أجابني:

- "عندما اتصل بي والدك، لم يقل حتى كيف حالك أو يبدأ بسلام. بل أخبرني مباشرة أن أوصلك رسالة مفادها أنك يجب أن تذهب إليه وتلتقيه. كما أمرني أن أعطيه رقمك الشخصي. وعندما رفضت في البداية، قال لي:

- 'سأحصل عليه على أي حال، فمن حقي كوالد أن أمتلك رقم ابني. لذا لا تتحداني يا رائد، وتعاون معي؛ فهذا أفضل لك ولحياتك.' وبعد هذه الكلمات أعطيته رقمك على الفور. وقبل أن ينهي المكالمة، طلب مني أن أحضر معك أيضًا.

عندما انتهى رائد من سرده لهذه الأقوال، شعرت بغضب عارم؛ أولاً بسبب نبرة والدي التي كانت مليئة بالتهديد لصديقي رائد، وثانيًا بسبب الغموض المحيط بهذه المكالمة. فكرت للحظة ثم سألت رائد:

- "ألم يخبرك متى سيتصل بي؟"

فأجابني:

- "لا، لقد أخبرتك كل ما قاله لي."

بدأنا أنا ورائد نفكر في الأمر. لماذا يتصل بي والدي الآن؟ ولماذا عبر رائد؟ وما الذي يريده؟ وما هي إلا لحظات حتى قطع حبل أفكارنا رنين هاتفي. أخرجت الهاتف من جيب سروالي ونظرت إلى هوية المتصل. كان رقمًا غريبًا. نظرت إلى رائد وقلت له أن يصمت. أشار لي بأن أضع المكالمة على مكبر الصوت، لكنني رفضت. كنت أشك أن ما سيُقال قد لا يناسب أن يسمعه أحد.

أجبت على المكالمة، وأول ما سمعته كان صوته. تلك النبيرة التي لم تتغير قط. قال لي:

- "مرحبًا، هل معي أسر؟"

أجبت به برود وكأني لا أهتم:

- "من معي؟ ماذا تريد؟"

فرد قائلاً:

"أنا والدك يا أسر، ألم تعرفني؟ هل نسيت صوت والدك بهذه السرعة؟"

فأجبت:

"لا، لم أنسَ صوتك. لكنني نسيت أنني أملك أبًا من الأساس."

ساد الصمت بيننا للحظات، ثم قال:

"آسر، تعال إلى المنزل اليوم في حدود الساعة الثامنة مساءً. أريد أن أتحدث معك في أمر مهم."

فأجبت بنبرة صارمة:

"لا يهمني ما تريد قوله، ولن أحضر إلى ذلك المنزل، حتى لو كان على جثتي."

وهنا، تغيّرت نبرته، وأصبحت تلك النبرة الباردة التي لطالما كرهتها تلك النبرة التي بقسوتها دمّرت طفولتي. قال لي بنبرة أمر لا تُرد:  
- "أسر، يجب عليك أن تأتي إلى المنزل اليوم في حدود الساعة الثامنة مساءً. أريد أن أتحدث معك في أمر مهم. وإن لم تأت، فسوف تندم."

أجبتته بثبات:

- "ولماذا يجب عليّ المجيء؟ ما الذي سأستفيد منه إذا جئت؟ ليس لدي وقت أضيّعه معك يا سيد محمود."

رد قائلاً:

- "إذا كنت تريد تدمير المجرم كمال كما تدّعي، فتعال إلى المنزل. وإن لم تفعل، أعدك أنني لن أترك كبيرة ولا صغيرة في حياتك إلا وأخذتها منك. تذكّر هذه الكلمات جيداً يا بني. عندما كنت صغيراً، كنت أقول إنك لا تفهم شيئاً. والآن بعد أن كبرت، سأجعلك تفهم كل شيء. لا تنسَ لقاءنا، ولا تنسَ أن تحضر معك رائد أيضاً."

وقبل أن أتمكن من الرد، أغلق الخط.

ما سمعته كان مذهلاً. هذا الغموض... لماذا الجميع يتحدث بلغة الألغاز؟ ما علاقة كمال بهذه المكالمات؟ وما الذي قد يمتلكه والذي لتدميره؟ أو ليس صديقه من الأساس؟

أشم رائحة مؤامرة في كل هذا. لكن هل أذهب؟ في كلا الحالتين، هو والذي، ولا أعتقد أنه سيفكر في إيدائي جسدياً، رغم أنه أذاني بما فيه الكفاية نفسياً. ولكن من جهة أخرى، أشعر بشيء غامض هنا، وأحتاج إلى معرفة الحقيقة.

إذاً، يا سيد محمود، لنر ما لديك هذه المرة. و ماذا تخبي لي؟

قاطع حبل أفكاره صوت أسئلة رائد المتكررة: "ماذا حدث؟ ماذا قال لك؟ هل من جديد؟" كلها كانت تأتي دفعة واحدة من فم صديقي الثرثار. أجبته بهدوء، وأخبرته أنه سيرافقني إلى منزلنا، مشدداً عليه أن يأخذ جميع الاحتياطات اللازمة لحمايتنا. ثم أضفت أنني سأعود إلى مركز الشرطة، حيث لدي العديد من الأسئلة لطرحها. كنت أشعر بأن لهذه القضية علاقة وطيدة بالسيد كمال، بل وبوالدي أيضاً، خصوصاً أنه اتصل بي بعد كل هذه السنوات ليخبرني أن لديه ما سيدمر كمال، وهو صديقه المقرب الذي بسبب صداقته تمزقت عائلتنا. ورغم كل الخلافات، كان أبي يضع اللوم علينا أنا وأمي، بينما كان يعتبر كمال دائماً الطرف البريء.

جمعت أفكارى وودّعت رائد بعد أن كلفته بمهمة خاصة، وهي التحقيق في ماضي عائلة ريما، ابنة السيد كمال. توجهت إلى مركز الشرطة وأنا غارق في تساؤلاتي: ما الذي سيحدث اليوم؟ وما هي الأسرار التي سأكتشفها؟ ولماذا أصرّ والدي على حضوري أنا ورائد؟.....

وصلت إلى مركز الشرطة، وحصلت على مجموعة من الأوراق الرسمية. بدا أن التصريح من الجهات العليا قد وصل، مما سمح ببدء التحقيقات مع المشتبه بهم. على الفور، أمرت رجال الشرطة بتجهيز غرفة التحقيقات والتأكد من عمل أجهزة التنصت لتسجيل أقوال المشتبه بهم. جهزت نفسي بكوب من القهوة على أمل أن يخفف الصداع الذي يفتك برأسي، ثم طلبت إحضار ريما إلى غرفة التحقيق.

عندما أدخلوها، بدت بحالة مزرية، لكنني كضابط محقق معتاد على مثل هذه المشاهد، لم أنخدع بمظهرها. جلست أمامها وأول سؤال طرحته كان: "أخبريني عن تفاصيل الجريمة وكيف وجدت الجثة." أجابت بصوت منخفض ونبرة هادئة، مختلفة تمامًا عن طريقتها المعتادة، دون أن تنظر إلى عيني. قالت:

- "كالعادة، كنت ذاهبة إلى الجامعة في الصباح الباكر. تناولت الإفطار مع أمي، وتبادلنا بعض الأحاديث. بعدها سمعت صوت

سيارة عمي فارس الذي كان يأخذني دائماً إلى الجامعة. ودّعت أُمي وغادرت. لم أكن أعلم أن ذلك سيكون الوداع الأخير... أثناء وجودي في الجامعة، كان يراودني شعور غريب، لكنني تجاهلته. بعد انتهاء الدوام، عدت إلى المنزل لأجد الباب مفتوحاً قليلاً، والأضواء مطفأة، وأشياء متناثرة في كل مكان وكأن معركة قد وقعت. كنت أنادي على أُمي، لكن لا أحد يجيب. توجهت إلى المطبخ وهناك وجدت غارقة في دماها، تلفظ أنفاسها الأخيرة. اتصلت فوراً بعمي فارس، الذي وصل سريعاً، ثم بالإسعاف. بعد ذلك، جاءت الشرطة وأنت تعلم البقية."

أنهت روايتها وأنا أشعر بصدق كلماتها، خاصة أن جهاز كشف الكذب لم يُظهر أي إشارة تدل على كذبتها. بعدها طرحت سؤالاً ثانياً قلب الموقف تمامًا: "هل كنت تعلمين أن والدك هو أكبر تاجر مخدرات في البلاد؟"

رفعت عينيها نحوي، مصدومة ومذعورة. ثم انفجرت غضباً وقالت بصوت عالٍ:

- "كيف تجرؤ على اتهام أبي؟ صحيح أن أبي كان غامضاً، لكنه لم يكن سوى رجل أعمال. لا يحق لك قول ذلك!"

اشتد غضبها وكادت أن تهاجمني لولا أن تدخل ضباط الشرطة وأمسكوا بها. كانت تصرخ وتدافع عن والدها بحرقه، لكنني من طريقة كلامها كنت مقتنعاً بأنها لا تعلم شيئاً عن جرائمه. ومع ذلك، ما أثار غضبي كان تعليقها الأخير قبل مغادرتها الغرفة، إذ قالت:

"قبل أن تتهم أبي، لماذا لا تسأل عن أبيك؟"

صُدمت من كلماتها، وشعرت بأن موقعي كضابط قد اهتز، خاصة أمام رجالي. فأمرت الضابطات بإخراجها فوراً وأدركت أن عليّ البحث في الأمر، فهناك خيوط كثيرة تحتاج إلى فك شفرتها. قررت تأجيل التحقيق مع عمي فارس إلى المساء لأن عقلي كان مثقلاً بالأسئلة والأفكار التي لا تنتهي. صباح ذلك اليوم كان كفيلاً بتحطيم رأسي بالفعل.

اتصل بي صديقي رائد ليخبرني أنه جمع بعض المعلومات، لكنها كانت تدور حول عائلة ريما، وبالتحديد عن أمها. لم يتمكن من العثور على أي معلومات ذات قيمة عن كمال أو عائلته، على الرغم من جهوده الكبيرة، أمرته بمواصلة البحث، إذ لا بد من وجود خيط أو دليل يقودنا إلى هذه العائلة الغامضة.

جلست في مكثبي وبدأت أستعرض القضايا التي ما زالت تنتظرني، لكن شعورًا متزايدًا بالتعقيد والضياع سيطر عليّ، عندما ينتابني هذا الشعور، كنت دائمًا أُلجأ إلى كنزي الخفي الذي لا يعرفه أحد. فتحت الدرج الأول في مكثبي، وأخرجت صورة أمي. كانت الصورة هي المنارة التي أستنير بها وسط كل هذا الظلام. نظرت إلى ملامحها بكل شوق، وحاولت أن أقاوم رغبة جارفة في البكاء. كانت أمي أعز ما أملك، ورحيلها ترك فراغًا عميقًا في حياتي.

كل ما أعرفه عن وفاتها أنها ماتت في منزلنا، وآخر من كان معها هو أبي. لكن حتى اليوم، يرفض والدي الحديث عن الأمر أو تقبل أي نقاش حوله. أغلقت الدرج سريعًا عندما سمعت طرقًا على الباب. أخفيت الصورة ورتبت المكتب وكأنني منشغل بالعمل. كنت أكره أن يراني رجالي في لحظة ضعف، فلا أحد يعرف حقيقي أو مشاعري، حتى رائد نفسه.

أذنت بالدخول، فدخل أحد رجالي يحمل رسالة. أخبرني أنها وُجدت عند باب المركز صباحًا، لكنه لم يتمكن من إيصالها لي بسبب انشغالي. شكرته وأمرته بالخروج.

فتحت الرسالة بيدين مرتجفتين ، لأجد أربع كلمات فقط مكتوبة بالحبر الأحمر:

## "اترك الفتاة مقابل حياتك"

\*\*\*

شعرت بصدمة تزلزل كياني. أدركت حينها أن هذه القضية أخطر بكثير مما توقعته. تلك الفتاة ليست مجرد متهمة؛ هي مفتاح اللعبة بأكملها. الآن، إما أنها ضحية بريئة عالقة في شباك والدها، أو أنها إحدى خدع كمال لإنقاذ ابنته بادعائه التهديد من أجل تركها.....

في حوالي الساعة 2:00 مساءً، أمرت رجال الشرطة بإحضار ذلك العم من غرفة الاحتجاز، وما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى سمعت صوت خطوات رجالي ومعهم خطوات ذلك العم. نظرت إليه، فرغم ملامحه المتعبة قليلاً التي تعكس الإرهاق، إلا أن هيئته ظلت تمثل الحكمة والرزانة. أذنت له بالدخول إلى الغرفة والجلوس، فقام بإزاحة الكرسي من الطاولة التي تفصل بيني وبينه، ثم جلس وقال لي بنبرة يتخللها التعب والوقار: "بني، لماذا لا تجلس؟ اجلس أولاً، ثم نبدأ التحقيق الآن."

اندهشت من كلماته، فلم يكن رد فعله كما توقعت. كان من المنتظر أن يكون خائفاً، أو أن يرفض الجلوس، أو حتى يصمت منكس الرأس كما فعلت ربما. لكنها على عكسه، كانت تتردد في الكلام، بل كانت منزلة لعينها وتشعر بالذل، وكأنها لا تريد مواجهة الحقيقة.

جلست عندها وأخبرته بأننا سنبدأ التحقيقات، وأن رجال الشرطة سيضعون جهاز كشف الكذب على يده، بحيث إذا كذب ولو لمرة واحدة، سيرصد الجهاز إشارات تثبت كذبه. أخبرته أيضاً أنني سأطرح عليه مجموعة من الأسئلة، وأتمنى أن يتعاون معنا. أوماً بالموافقة بابتسامة خفيفة على شفثيه.

كان أول سؤال طرحته عليه هو:

- "كيف وجدت الجثة؟" فأجاب بنفس الكلام الذي قالته ربما، بأنه أوصولها إلى الجامعة، ثم لم تمضي سوى دقائق حتى اتصلت به وأخبرته بما حدث، وما إلى ذلك. أقوالهما كانت متطابقة بشكل غريب، وهذا أمر نادر الحدوث، لأن المشتبهين الرئيسيين عادة ما تتضارب أقوالهما، حيث يحاول كل طرف تبرئة نفسه وإصاق التهمة بالآخر.

ثم سألته عمّا إذا كان يعلم شيئاً عن ماضي السيد كمال، وهنا كانت إجابته صادمة جداً. قال لي بنبرة يتخللها القلق والحيرة:

- "كنت أعمل لدى السيد كمال لمدة طويلة، تستطيع القول إنني كنت معه لأكثر من عشر سنوات. في البداية، كنت أعمل معه في شركته، حيث كان رائداً في مجال الأعمال، رجلاً ذكياً يجني الكثير من الأموال بفضل حنكته التجارية. لكنه كان غريب الأطوار دائماً. فمثلاً، عندما أقوم بتوصيله إلى الشركة، لا يمكث سوى ساعتين في مكتبه، ثم يغادر. وعندما أعرض عليه أن أوصله إلى المكان الذي يريد، يرفض بشدة، ويأخذ سيارته الخاصة، ثم يختفي لبقية اليوم ولا يظهر حتى الليل، حيث يعود إلى الشركة مجدداً، ويتصل بي كي أوصله إلى المنزل، وكأنه كان في العمل طوال اليوم. وكأنه يريد أن تبدو الأمور طبيعية، وألا تشك عائلته بشيء."

تابع بنبرة أكثر جدية:

- "لم يكن هذا يحدث يوميًا فقط، بل حتى يوم الجمعة، كان يتظاهر أمام عائلته بأنه ذاهب إلى العمل، فيمكث ساعة أو ساعتين في مكتبه، ثم يغادر بسيارته الخاصة، ولا يظهر حتى الليل، ليطلب مني إعادته إلى المنزل. هذا ما أثار فضولي كثيرًا، فسألته ذات يوم: 'سيدي، لماذا تفعل ذلك؟' لكنه غضب بشدة وأخبرني ألا أتدخل في شؤونه، وأن هذا لحمايته وحماية عائلته. كما حذرني أنه إن تدخلت مرة أخرى، فسوف يقوم بطردني."

مرت خمس أو ست سنوات على هذه الحال، حتى جاء يومٌ ناداني فيه إلى مكتبه، وقال لي:

- 'من اليوم فصاعدًا، لن تكون مسؤولًا عن إيصالي بعد الآن.' للحظة، اعتقدت أنه سيطردي، لكنني فوجئت بقراره. لقد قرر أن يعين شخصًا آخر ليوصله، بينما جعلني سائقًا خاصًا لعائلته فقط، مسؤولًا عن إيصال ابنته ربما إلى الجامعة، وتوصيل زوجته كلما أرادت الخروج. كما أوكل إليّ مهمة مراقبة مواعيد خروجهم ودخولهم، وأمرني بأن أبلغه فورًا إن حدث أي شيء غريب أو إن لاحظت أن أحدًا يراقبهم. كما شدد عليّ أن أكون حذرًا أثناء القيادة، وقبل كل توصيلة، كان عليّ تفقد السيارة جيدًا، بحثًا عن أي عطل أو شيء غير طبيعي."

كان هذا غريبًا جدًّا بالنسبة لي، فلم يسبق له أن أمرني بشيء مماثل. لذا، بدافع القلق، سألته:

- 'سيدي كمال، هل كل شيء على ما يرام؟ هل هناك شيء يهددك أو يشغل بالك؟ هل هناك خطر على منزلك وعائلتك؟'

نظر إليّ بغضب يتخلله برود قاتل، ثم قال: 'اسمع يا فارس، هذه آخر مرة أحذرك فيها من طرح أسئلة لا تعنيك.'

كانت كلماته صادمة نوعًا ما، وقد تسلل الفضول إلى داخلي، وأخذت أفكر: ما هو المكان الذي كان يذهب إليه السيد كمال؟ ولماذا أخفاه عن الجميع، وخاصة عائلته؟ ثم سألته مرة أخرى قائلاً:

"هل تعرف شيئاً آخر عن سيدك؟"

فأجابني العم بنبرة ثابتة:

"لا، كل ما أعرفه أخبرتك به."

ثم توجهت إلى السؤال الثاني، فقلت له:

"هل أنت الذي ارتكبت الجريمة؟"

بعدما قلت له هذه الكلمات، راقبت عينيه وتصرفاته جيداً. وبدو أن نظرات العم، التي تحولت من القلقة إلى الحزينة، كانت تحمل في طياتها صدقاً خفياً. أجباني بثبات، وقد وقعت عيناه على عيني، قائلاً:

- "والله وتالله إنني لم ولن أتجرأ يوماً على قتل أم ريماء... كيف لي أن أقتل تلك السيدة التي أكرمتني واعتبرتني كوالدها؟ كانت تعاملني باحترام لم يعاملني به حتى أبنائي، فكيف تريدني أن أقتلها؟! حتى مجرد التفكير في إيذاءها لم يخطر ببالي أبداً. فلم أقتلها، والله على ما أقوله شهيد."

ختم كلماته بتلك الجملة، وشعرت في نظرتيه بالصدق التام، خاصة أن جهاز كشف الكذب لم يرصد إشارات كذب ولو لمرة واحدة، مما يعني أن الرجل الذي أمامي يقول الحقيقة.

ثم سألته سؤالاً كان يدور في عقلي كثيراً:

"من أين تعرف اسم أمي؟"

في ذلك اليوم الذي أتينا فيه إلى المنزل وفتحت لنا الباب، ناديتني بـ "ابن السيدة أمينة". من أين تعرفها؟

فقال لي:

"أعرف أمك عن طريق السيدة إكرام، زوجة السيد كمال."

فاندهرشت حينها بصدمة كبيرة، واستوعبت أن الكلمات التي يقولها هذا العم جديدة بالنسبة لي. فقلت له:

- "ماذا تعني؟"

فأجابني:

- "السيدة أمينة والسيدة إكرام كانتا صديقتين قبل ولادة ربما. كانت أمك تقف مع السيدة إكرام، تساعدتها، تزورها، وأحياناً تذهبان للتسوق معاً. وأنت تعلم أن والدك، السيد محمود، ووالد ربما، السيد كمال، كانا صديقين حميمين ويعملان معاً. لكن بسبب المشكلة التي تعرفها، انفصلا. ما لا تعلمه هو أن والدك استعاد صداقته مع السيد كمال منذ حوالي أربع سنوات. ومنذ ذلك الوقت، تصرفات سيدي كمال أصبحت أكثر غرابة. خوفاً على منصبي وعلى نفسي، كنت أرفض السؤال، لأنني كنت أعلم أن إجابته لن ترضيني."

شعرت حينها وكأن الأرض توقفت تحت قدمي بعد تصريحات هذا العجوز. أعلم أن أبي وأبا ربما كانا صديقين منذ الطفولة، لكن أن تكون أم ربما وأمي صديقتين أيضاً؟! هذا ما لم أكن أعلمه. لا أتذكر أنني رأيت أمي مع أم ربما من قبل.

وهل كانت هناك مشكلة فعلاً بين أبي ووالد ريماء؟ كنت أظن أنهما انفصلا بعد تلك الحادثة التي غيرت حياتنا، لكن يبدو أنهما عادا إلى صداقتهما لاحقاً. إذًا، عائلتي لها علاقة بهذه الجريمة... وأخشى أن يكون لوالدي علاقة بها أيضاً.

كل يوم، كل ساعة، كل ثانية تمر عليّ وأنا أفكر في علاقة عائلتي بعائلة ريماء.

أنهيتُ التحقيق مع العم فارس بعد حصولي على الكثير من المعلومات، وأمرتُ الرجال بأخذه إلى الزنزانة. نظرتُ إلى الساعة، فوجدتها الخامسة مساءً. يبدو أن التحقيق مع هذا الرجل استغرق مني ثلاث ساعات، لكنه كان يستحق ذلك.

تصرفات السيد كمال الغريبة، صداقة أمي وأم ريماء، ماضي السيد كمال، بعض الخفايا الأخرى التي قالها... كلها معلومات قلبت الأمور رأساً على عقب.

لكن ما لفت انتباهي أكثر هو صداقته مع والدي.

إن كانت صداقتهما لا تزال قائمة، فلماذا اتصل بي والدي بعد كل هذه السنين وأخبرني أن لديه شيئاً سيدمر السيد كمال؟ كيف يقول ذلك وهو يعلم أنه صديقه؟! هذا ما حيرني...

إن كان والدي ووالد ربما لا يزالان صديقين، فلماذا قال لي تلك  
الكلمات؟!

كل هذا جعلني أغير رأيي... لن أذهب عند الساعة الثامنة كما  
خطت بل سأذهب الآن.

سأذهب إلى ذلك المنزل... لأكشف الحقيقة.

في تلك اللحظة، أعلنت عن نهاية التحقيق مع العم فارس وأمرت رجال الشرطة بأخذه إلى الزنزانة، لكن قبل ذهابه، قال لي كلمات أثارت فضولي بشدة وحفزتني على الذهاب فورًا إلى منزل والدي.

"نعم، بُني، سوف يناديك والدك قريبًا."

نظرت إليه مستغربًا، ثم قلت بحزم:

"كيف عرفت ذلك؟ أخبرني!"

لكنه أجابني بصوت خافت:

"لا أستطيع إخبارك، ولو كان ذلك على جثتي... هذا لِحمايتي أولاً ولِحمايتك أنت أيضًا يا ولدي."

ثم نظر إلي نظرة غريبة وأردف:

"أنتَ وهذه الفتاة ستواجهان الكثير من المشاكل... أرجوك، احمها، فلم يبقَ لها أحد سوى الله."

بعدها أنزل رأسه وأخذ يسير مبتعدًا، لكنني أوقفت رجالي على الفور وأمسكته من كتفه، ثم قلت له بنبرة غضب:

"كفاك حديثًا بالألغاز، أيها العم! أنا أحترمك فقط لكبر سنك، لكننا الآن في قسم الشرطة، وهذه جريمة حقيقية، وليست لعبة! إما أن تتكلم بكل شيء، أو أن تتوقف عن هذه الرموز!"

ساد الصمت للحظات وهو يحدّق في عينيّ، ثم أنزل رأسه مجددًا وقال بصوت خافت:

"لقد قلت لك يا بُني، لن أتكلّم في هذا الموضوع حتى لو كان ذلك على جثتي، فهذا لحمايتي... اعذرنِي، فأنا رجل عجوز، وإن مُتُّ، فلن يكون هناك من يعيل عائلتي ويوفر لهم قوت يومهم."

ثم رفع رأسه، ونظر إليّ بعينين متوسلتين وهو يقول:

"لوجه الله، بُني... اجعل الأمر سرًّا بيننا، ولا تضغط عليّ. لم يبق لي الكثير من العمر، وكل ما أريده هو أن أقضي ما تبقى منه مع عائلتي وأترك لهم ذكرى جميلة عني."

وقعت كلماته على مسامعي وكأنها صفعه على وجهي، شعرت للحظة أنني أنا المجرم، ولستُ المحقق. أنزلت يدي عن كتفه وأشرت لرجالي بأن يأخذوه دون أن أنطق بحرف واحد.

بعدها، التقطت هاتفني واتصلت بصديقي رائد، طالبًا منه أن يأتي فورًا. فأخبرني أنه قريب جدًا من المركز ويمكنه الخروج فورًا

ليجدني بانتظاره. أخبرته أنني سأخرج الآن متوجهًا إلى منزل  
والدي، لكنه رفض بشدة وقال:

"إنها الساعة الخامسة، وهو أخبرك أن تأتي عند الساعة  
الثامنة!"

حينها، للمرة الأولى، قلت له ببهجة حادة:

"هذا منزل عائلي، ولا دخل لك، ولا حتى لوالدي، في تحديد متى  
أدخل إليه أو أخرج منه! سأذهب لهدف واحد فقط، وهو معرفة  
الحقيقة، وصدقي... بمجرد أن أخرج منه، لن تطأ قدماي ذلك  
المنزل مرة أخرى!"

شعرت أن رائد قد فهمني تمامًا وأدرك مدى غضبي من نبرة صوتي.  
فأخبرني أنه ينتظرنني بجوار السيارة.

خرجت مسرعًا من المركز، وبمجرد وصولي إلى ركن السيارات،  
وجدت رائد هناك بالفعل. لم ألقِ التحية عليه، فكل ما كان  
يشغل تفكيري هو: لماذا ناداني أبي؟

ركب رائد السيارة خلف المقود، ونظر إلي قائلاً:

"سأقود أنا، فأنت لست في حالة تسمح لك بالقيادة."

أومأت له بالموافقة دون نقاش، ثم استلقيت في المقعد بصمت.  
طوال الطريق، لم ينطق بحرف واحد، وكأنه أدرك أنني غارق في  
أفكاري.

وعندما بدأنا نقرب من المنزل، شعرت وكأنني أعود بالزمن إلى  
الوراء. بدأت الذكريات المؤلمة التي تركتها في هذا الطريق وهذا  
المنزل تتسلل إلى عقلي من جديد.

ثم لمحنا المنزل أخيراً... متزلي.

وقبل أن نصل، قال لي رائد بصراحة:

"أسر، تمالك نفسك. مهما قال لك والدك، لا تنسَ أنه أقوى  
منك. والآن، ستتعامل معه بصفة رجل كبير، لا بصفة طفل  
صغير لا يفقه شيئاً"

ما إن وصلنا إلى المنزل حتى ترحلنا من السيارة أنا ورائد ودلفنا إلى  
حديقة المنزل. وصلنا إلى المدخل حتى قابلنا باب منزلنا الكبير.  
نظرت إليه عالياً وتأملت جماله وكبره، ولكنني تذكرت الذكريات  
المؤلمة التي عشتها فيه والتي غطت على كل الذكريات الجميلة.  
قام صديقي رائد بطرق باب المنزل ففتح لنا أحد رجال والدي،  
وبدون أن ينطق رائد حرفاً واحداً، قام الرجل بإيماءة رأسه وقال:  
لنا:

- "تفضلوا بالدخول، سوف أنادي السيد محمود."

دخلنا إلى داخل المنزل وأخذت أمشي فيه متذكراً كل صغيرة وكبيرة. لم يتغير كثيراً، فكل شيء كان كما تركته، يبدو أنه بقي كما هو ما عدا بعض التغييرات الطفيفة في الديكور وما إلى ذلك. جاءت خادمة المنزل وانحنت لي وقالت:

- "سيدي أسر، ماذا تفضل أن تشرب؟" حينها أجبته بغضب:

- "لا أريد شيئاً، فقط اغربي الآن." ذهبت الخادمة، ثم جاء رائد من خلفي وقال لي: - "عيب عليك يا أسر، الفتاة لم تفعل لك شيئاً، لماذا أجبته هكذا؟" رفعت نظري إلى صديقي رائد وقلت له بنظرة غاضبة:

- "رائد، في هذا المنزل، كل من يدخل إليه ويقبل العمل فيه ولم يُطرد منه، فهو ليس شخصاً جيداً. صدقني، لا يوجد شيء جيد في هذا المنزل إلا وقد تغير إلى السوء. صدقني، هذه الخادمة التي طردتها الآن، لا بد أنها كانت ستضع شيئاً في الشراب الذي كانت ستقدمه لنا، وأنا أعرف خدم أبي جيداً. هو لا يقبل أن يعمل في منزله إلا الخبيثات والفاسقات المستعدات لفعل أي شيء من أجل كسب رضاه، وهو نفس الشيء بالنسبة لرجاله لذا لا تأتمنهم أبدا "

فأجابني رائد قائلاً :

- "حسناً، لقد تأخر الخادم، لماذا لا تذهب إلى غرفة والدك؟ أنت قلت إنه منزلي ولا دخل لوالدي متى آتي إلى المنزل ومتى أخرج منه. إذن هيا اذهب." أكمل صديقي كلمته بنوع من السخرية، لكنها بدت فكرة جيدة لي. صعدت إلى السلالم إلى غرفة والدي القديمة، لا أعلم إن كانت لازالت هي غرفته أم لا. وبمجرد وصولي إلى باب الغرفة، خرج ذلك الرجل الذي فتح لنا الباب في البداية. اندهش قليلاً لصعودي، وعندما وجدني أمام باب الغرفة، سألتني:

- "سيدي أسر، هل كنت تتنصت علينا؟" وبمجرد قوله تلك الكلمات، ضربته بلكمة على وجهه جعلته يسقط على الأرض. نظرت إليه بنظرة غضب وقلت وأنا ألتهم وجهه بنظراتي الحارقة :

- "كيف تتجرأ وتتكلم معي هكذا؟ أنا ألتزم بمبادئ وأفعال ليست مثل أفعالكم الخبيثة. لا أصنت على الناس ولا أراقبهم، لقد أردتُ الدخول، لكنك قاطعتني بخروجك المفاجئ، في المرة القادمة فكر بكلماتك جيداً، لأنني قد أضربك وأقتلك إذا تطلب الأمر."

ثم فتحتُ باب الغرفة بقوة ودلفت إليها. رأيت ذلك العجوز، أو كما يُسمي نفسه بوالدي، جالساً فوق الأريكة، يضع رجلاً فوق رجل، وبين يديه صحيفة يقرأها. كان يضع تلك النظارات التي ما زال يحمها حتى الآن، جالساً بكبريائه وشموخه ببدلته السوداء، وأمامه خادمه المطيع الذي يحمل سلاحه بيده ويقف وقفة شموخ وعلى أهبة الاستعداد للانقضاض على أي شخص يهدد حياة سيده. رفع نظره لي وقال:

- "وأخيراً، هل أتيت يا ولدي؟" تعجبت من كلماته، وانفجرت ضاحكاً، ثم قلت له:

- "هل ناديتني لتوك بولدي؟"

"فأجابني: "نعم، هل أكذب؟ أنت فعلاً ولدي."

"فأجبت قائلاً بسخرية:

- "نعم، يبدو أنني قد نسيت أنني أملك والداً من الأساس " ثم أكملت:

- "حسناً، لندخل في صلب الموضوع، يا سيد محمود، ماذا تريد؟"

صمت قليلاً ثم أمر الرجل بالانصراف. في البداية تردد الرجل، ثم أخبره أبي قائلاً: "اذهب، إنه ولدي، ويستحيل أن يؤذيني. صحيح

يا أسر؟" لم أجب بل اكتفيت بالنظر إلى عينيه، و كلي تهجم  
وغضب.

بعد أن سمعنا صوت الباب الذي أصدره بعد خروجه، قال لي أبي  
وهو ينظر في وجهي :

- "ما الأمر يا أسر؟ في صغرك كنت تبذل قصارى جهديك لتثبت  
جدارتك أمام عيني، ولكي تكسب رضاي، وها أنت الآن تكرهني  
كراهية شديدة. لا أفهم لماذا؟. هل هذا كله بسبب وفاة والدتك؟"  
وهنا انفجرت غاضباً وقلت له:

- "أنت تعلم جيداً أنني أحترم كبار السن، لذا لا تعبت مع مبادئ  
التي تأمرني بالاحترام، فهي نقطة ضعفي، و لا تستغلها باستفزاز.  
صدقني، حتى لو كنت أبي، سأقتلك كما فعلت معها . مثلما  
دفعت أمي لقتل نفسها.

" ثم عم الصمت بيننا لبعض الوقت. ولكن كُسر ذلك الصمت  
أخيراً بكلماته تلك حين قال :

- "حسناً، سوف ندخل في صلب الموضوع، أليس كذلك، أيها  
المحقق أسر؟"

فأجبتّه بدون تردد وكأنني فقط أنتظر متى ينتهي هذا اللقاء :

- "نعم".

فقال لي:

- "لقد ناديتك هنا من أجل صفقة، وأنت تعلم جيداً أنّ والدك يعمل بمبدأ 'خُذ وأعط'، يعني سأعطيك شيئاً، وأنت في المقابل تعطيني الشيء الذي أريده، بما أنك بحاجة إليه وتلبي رغبتني ، ما رأيك؟" شعرت أن أبي يقول لي الغائزاً وكأنها شفرات يجب علي فكها، فقلت له بثبات ونبرة يتخللها الغضب والبرودة: "فقط أخبرني بماذا تريد أو اتركني أرحل، ليس لدي وقت من أجلك."

هنا صمتت قليلاً بعدما قالت ذلك، وأخذت أفكر... هل يختبر هذا العجوز صبري؟ أم أنه يريد مني تزويده بمعلومات عن ابنته صديقه عبر مفاوضاتي؟ ماذا يريد هذا العجوز بالضبط؟

قطع حبل أفكاره بقوله:

- "إذن، ما رأيك يا أسر؟ ألا تريد أن تعرف ما هو الشيء الذي سأعطيك إياه؟"

أجبتّه ببرود ونفاد صبر:

- "فقط أخبرني ماذا تريد أيها العجوز، اختصر الحديث، لقد بدأت أحتقن في غرفتك هذه!"

فقال لي والدي، أو كما يُقال عنه السيد محمود:

- "حسنًا، انظر يا أسر، سوف أعقد معك مقارنة بسيطة. سأعطيك شيئًا تحتاجه، وفي المقابل، عليك تنفيذ ما أحتاجه منك."

أجبتة بحدة، وقد بلغ مني الضيق مبلغه:

- "كفاك ألغازًا! فقط قل ماذا تريد؟"

حينها، نطق بكلمات لن أنساها ما حييت...

قال لي:

- "سأخبرك بمكان تواجد كمال، وأين هو الآن، وماذا يفعل. ليس هذا فحسب، بل سأكشف لك الكثير من الأسرار حول وفاة والدتك، وسأجيبك عن كل الأسئلة التي تدور في ذهنك. ولكن، في المقابل... أريدك أن تثبت براءة ابنته ربما وتحضرها إلي في هذا المنزل."

شعرتُ بصدمة جعلتني أعجز عن الرد. لقد تلقيت اليوم الكثير من المعلومات الصادمة، لكن هذه كانت الأكثر غرابة... تفاوض أبي معي؟!!

ماذا يريد هذا الرجل؟

يريد مني إثبات براءة ابنة عدوي، مقابل أن يسلمني عدوي على طبق من ذهب؟!!

يريد التضحية بصديقه في سبيل الإفراج عن ابنته؟!!

نظرت إليه، ثم قلت بسخرية ممزوجة بالدهشة:

- "أليس كمال صديقك؟ فلماذا تريد توريثه؟ وفي المقابل، تحاول تبرئة ابنته؟!"

ابتسم أبي ابتسامة غامضة، وقال بنبرة هادئة:

"أنصت إليّ جيداً، أسر... هذه ليست رغيتي، بل هي رغبة والدها. أنت تعلم جيداً المبدأ الذي أعمل به، 'خذ وأعط'... والدها منحني الكثير من الأشياء التي كنت بحاجة إليها، وفي المقابل، يريد مني إنقاذ ابنته. لقد كان يعلم أن زوجته ستموت، وأن ابنته ستتورط، ولهذا قرر التضحية بنفسه من أجلها."

ثم أضاف بصوت ثابت:

- "أنت فقط أثبت براءة الفتاة، وأنا سأعطيك مكان كمال، بل وأكثر من ذلك، سأكشف لك السبب الحقيقي وراء وفاة والدتك، وعلاقة وفاتها بصديقي كمال. فما رأيك؟ هل تريد معرفة الحقيقة كاملة؟ هل ستبرئ الفتاة وتأخذ انتقامك من كمال؟ أم أنك ستظل تدور في نفس الدائرة دون أن تفعل شيئاً؟"

توقف قليلاً، ثم أردف بنبرة واثقة:

- "آسر، أنا أطلب منك إثبات براءة الفتاة. وإن لم تفعلها أنت، فأنا قادر على تبرئها بطريقتي الخاصة، خلال أقل من 24 ساعة، وإطلاق سراحها. لكنني أردت أن أختبرك... هل أنت مستعد لأخذ انتقامك أم لا؟"

ثم قال بابتسامة مآكرة:

- "ما رأيك؟ أنت تأخذ انتقامك... وأنا أخذ إبنة صديقي "

انفجرتُ ضاحكاً. لم أعرف تحديداً ما الذي أضحكني أكثر، هل هو الصدمة من أن لموت أمي علاقة بكمال؟ أم لأن أبي مستعد لمساعدتي في الانتقام من صديقه مقابل ابنته؟ أم أنني كنت أسخر من كل هذا العبث؟ لم أعد متأكداً. لكن ما أعرفه جيداً أنني لم أستطع منع نفسي من الضحك لحظة انتهاء أبي من كلامه.

توقفتُ عن الضحك فجأةً واستعدتُ وعيي، ثم نظرتُ إليه  
بسخرية وقلت:

-إذًا، تقول لي إن السيد كمال قرر التضحية بنفسه من أجل  
ابنته؟ وأنه كان يعلم أن زوجته ستموت، وأوصاك بتبرئتها بدافع  
خفي؟

هزرتُ رأسي ساخرًا وأضفت:

-إذا كان الأمر كذلك، فلماذا هرب وتركها وحدها؟ أنت تعلم جيدًا  
أنه اختفى قبل الجريمة بخمسة أيام. لا بد أنك تعرف ذلك،  
والدليل هو اتفاقك معه الذي أخبرني عنه الآن. لكن ما لا أفهمه  
هو... لماذا تريد تبرئة ابنته؟ أو بالأحرى، ما الذي قدّمه لك كمال  
مقابل حياة ابنته؟

في لحظة واحدة، تغيّرت ملامح أبي تمامًا، ثم قال بصوت حازم:

-أسر، هل ستقبل العرض أم سترفضه؟ سأضيف لك شيئًا  
آخر... عندما تجد السيد كمال بعد أن أزوّدك بكل المعلومات  
عنه، وعندما تكتشف الحقائق كاملة—بما في ذلك حقيقة ما  
حدث لأمك—حينها ستواجه صدمة العمر. لكن في الوقت  
نفسه، ستجد انتقامك جاهزًا بين يديك.

توقّف للحظة، ثم تابع بابتسامة باردة:

-وهذا الانتقام لن يكون في مصلحتك وحدك، بل في مصلحتي أيضاً. فعندما تأخذ بثأرك، ستصبح ساحة زيادة الأعمال في هذه البلاد ملكي وحدي، لأن أكبر منافس لعائلتنا هو كمال، وأنت تعلم ذلك جيداً. إذن، كما أخبرتك سابقاً، بموجب هذا الاتفاق سأكون قد اكتسحت مجال الأعمال، وستصبح عائلتنا الأقوى في البلاد. وفي المقابل، ستحصل أنت على انتقامك، وستحقق العدالة التي تسعى لها كضابط... ستكشف المجرم الحقيقي، وتفضح أعمال كمال، وتبرئ الفتاة البريئة.

تراجع في مقعده، ثم أضاف بنبرة هادئة ولكنها مغموسة بالخداع:  
-لطالما كنت أراقبك منذ بداية التحقيقات، وأعلم أنك اكتشفت الحقيقة... أنك أدركت أن الفتاة بريئة. لكنك، بسبب طبيعة عملك، تتظاهر بالبحث عن الأدلة، بينما في الواقع، كل ما تريده هو إدانتها فقط لأن ذلك سيساعدك في الانتقام من كمال. تريد استغلالها كوسيلة لتحقيق ثأرك، وهذا خطأ، يا بني. إن فعلت ذلك، فستلطح سمعة عائلتنا، وستصبح فضيحة تلاحقك كضابط. أعلم أنك تحاول إقناع نفسك بأن الفتاة هي المجرمة، لكن في داخلك، تعلم أنها ليست كذلك. ولهذا السبب، كوالدك، سأساعدك.

-هذا القرار يصبّ في مصلحتنا نحن الاثنين... أنت ستأخذ انتقامك وتحقق العدالة وفق القانون، وأنا سأزج أكبر منافس لي في ريادة الأعمال. وسأساعدك في التخلص من عذاب الضمير الذي سيطاردك مدى الحياة إن اتهمت فتاة بريئة بجريمة لم ترتكها.

ثم استند إلى الطاولة أمامه، ورفع حاجبه في تحدٍ:

-لكن القرار النهائي ليس بيدي، بل بيدك أنت. إن رفضت عرضي، ستفوّت عليك أكبر فرصة للانتقام، وستتهم فتاة مسكينة قد يعذبك ضميرك بسببها إلى الأبد. لكنني واثق أنك لست بهذا الغباء. الفتاة ستكون لي، سواءً تعاونت معي أم لا... مفتاح انتقامك من كمال بحوزتي، ومفتاح نجاحي بيديك. فهل ستقبل الاتفاق، أم ستدعني أتصرف بطريقتي الخاصة؟ لكن، لا تلمني حينها على العواقب، لأنني سأفعل ما يحلو لي.

-"آسر، أنت تعلم أنني لا أتحرّك دون سبب. أنا لا أعرف بالضبط ما تحويه تلك الأوراق، لكن ما أعرفه أنها مفتاح قوة كمال. هي الشيء الوحيد الذي جعله يتفوق في ريادة الأعمال، وهي الشيء الوحيد الذي رفض حتى الآن أن يساوم عليه، حتى مقابل حياة ابنته."

توقفت قليلاً عند كلماته. لماذا يرفض كمال مبادلة الأوراق  
بابنته؟ هل هي بهذه الأهمية؟ هل يخشى أن تقع في يد شخص  
معين؟

"إذن، لماذا تظن أنها ستكون مفيدة لك؟" سألت بحذر.

ضحك والدي بسخرية وقال:

"أنا لا أظن، أنا متأكد. إذا حصلتُ على تلك الأوراق، سأتمكن  
من سحق كمال تمامًا، وسأكشف سر تفوقه... وسأضمن أن  
هذه العائلة لن يكون لها وجود في مجال الأعمال بعد الآن."

لم أجب فوراً. كان هناك شيء غير منطقي هنا. إذا كانت الأوراق  
بهذه الأهمية، لماذا لم يستخدمها كمال نفسه ليحبي نفسه  
وابنته؟ ولماذا كان والدي واثقاً من أنها ستمنحه التفوق بمجرد  
حصوله عليها؟

لكن وسط كل هذه التساؤلات، بدأت أشعر بشيء مختلف... لأول  
مرة، شعرت أنني أقف على أعتاب الحقيقة، وأن كل الأسئلة التي  
كانت تحرق عقلي لسنوات قد اقتربت من أجوبتها. إذا حصلتُ  
على كمال، إذا وجدتُ تلك الأوراق، فسأعرف كل شيء!  
سأكتشف ما حدث لأمي، سأعرف سر كمال، سأفهم لماذا كذب  
والدي علي طوال هذه السنين... كل شيء سيتضح أخيراً!

نظرت إلى والدي بثبات، ثم قلت بصوت يحمل مزيجًا من الحماس والتحدي:

- "حسنًا، سأجد لك تلك الأوراق... لكن في المقابل، أريد كل شيء عن أمي، كل شيء أخفيته عني."

ابتسم ابتسامة باردة وقال:

"اتفقنا، يا أسر. الآن لنرَ إلى أي مدى يمكنك الوصول. أرني قدرتك يافتي "

خرجت من الغرفة وأنا أشعر وكأنني دخلت لعبة لم أدرك خطورتها إلا الآن. لكن كان هناك شيء آخر، شيء أكثر وضوحًا من أي وقت مضى... هذه الفتاة، ربما، لم تكن مجرد متهمة في قضية. لم تكن مجرد فتاة عادية مرت بحياتي مصادفة. دخولها إلى عالمي لم يكن مجرد خطأ عابر... دخولها كان المفتاح الذي سيكشف كل الألغاز التي حاصرتني طوال هذه السنوات.

نزلت من على الدرج مسرعًا، مليئًا بالفضول والحماس لأخبر صديقي رائد بما جرى مع والدي. لكنني فوجئت بمنظر غريب نوعا ما. صديقي رائد كان يلکم أحد رجال والدي والرجال الآخرون كانوا يقفون بعيدًا يراقبون الموقف ويرفضون التدخل. كانوا يعلمون أن الشخص الذي يتشاجرون معه هو صديقي، أي

صديق ابن سيدهم، وأن أمري من أمر سيدهم. لكنهم لا يعرفون أن علاقتي بوالدي سطحية جداً، مبنية على المصالح فقط. لهذا السبب قررت أن أتأخر قليلاً في التدخل بين رائد والشخص الذي يتشاجر معه. كنت أشاهد أمامي فيلم أكشن حقيقي، وأعترف أنه أعجبي نوعاً ما . لكن عندما رأيت غضب رائد يتصاعد وملامح وجهه تزداد تهجماً، وبدأ يضرب الرجل بقوة أكبر، قررت التدخل خوفاً من أن يقتل الرجل. فصرخت عليه قائلاً:

-رائد اترك الرجل هل تريد أن تقتله أم ماذا؟-

عند سماع صوتي، إلتفت لي رائد وقال بغضب:

"هاي! أنت يا رجل لقد تأخرت ماذا بك ؟ هل تريد المبيت هنا؟"

ابتسمت ابتسامة ساخرة وتقدمت نحوه، ثم أوقفته عن ضرب الرجل الذي كانت حالته مزرية، قلت له:

-هيا يا رائد دعنا نخرج."

أمسكته من كتفه بنية المشي معاً، لكنه رفض وقال لي:

- "ماذا ؟ نخرج ؟ هل أنت مجنون ؟ لن أبحر من هنا حتى تخبرني ماذا حدث وما بالك ؟ جلست مع والدك نصف ساعة ؟!" أنت بالكاد لا تطيق إسمه فكيف جلست معه كل هذا الوقت . في تلك

اللحظة صدمت قليلاً. هل حقاً جلست مع والدي نصف ساعة؟! كلام رائد كان منطقياً علاقتي مع والدي سطحية جداً. أعرفه من منذ أن ولدت ، لكننا بالكاد نتواصل. ومع ذلك، كان حديثي معه طويلاً جداً، ولم أدرك الوقت الذي مضى.

أخبرت رائد أنه يجب علينا الرحيل وأني سأحادثه بكل شيء في السيارة، وأني لن أتحدث كلمة واحدة هنا. يبدو أن رائد قد فهم مغزى كلامي ونظراتي، فوافقنا على الخروج. ركبت السيارة وجلست في مقعد السائق. قلت له: "سأقود السيارة اليوم. مزاجي جيد جداً."

همهم رائد بشيء من البرود، ثم كسر الصمت قائلاً:

- "إذن أخبرني، ماذا حدث؟ ماذا جرى داخل المنزل؟"

أخبرته بكل شيء، وكانت صدمته واضحة. قال لي:

- "إذاً تقول لي أنك قبلت عرض ذلك العجوز؟"

أجبتة: "نعم، إنه لمصلحتي وتحقيقاً لأهدافي. وبعد انتهاء هذا العقد، لن تربطني به أي علاقة، لأن هدفي في الحياة هو الانتقام لوالدتي من كمال وكشف الحقائق. أما الآن، بعد أن أحقق هدفي، فلا شيء سيربطني بهذا المنزل أو بوالدي."

سكت رائد للحظة، ثم قال لي:

"والآن، كيف ستبرئ الفتاة؟"

أجبت بثقة:

"أنت تعلم أنني قبل أن أوافق على شيء، أكون قد أعددت خطة كاملة."

هنا، قال رائد بصوت منخفض:

"لا تقل لي أنك تفكر في..."

قاطعت، كلامه قائلاً:

"نعم، سأخرجها بكفالة مؤقتة حتى يتم العثور على المجرم الحقيقي."

- "أه، نسيت أن أخبرك بشيء يا رائد."

فأجابني رائد بتفاجئ: "ماذا هناك يا أسر؟ تحدث."

حينها قلت له:

- "في الحقيقة، لقد أخبرني ذلك العم فارس كما يقولون علينا، أنا والدي سوف يناديني، وقد حدث فعلاً. وعندما سألته كيف عرف ذلك، رفض قول الكثير من الأشياء. اكتفى بلغة الرموز."

صمت رائد للحظات ثم وقال:

"حسنًا، اتركنا من ذلك الآن، يجب علينا التركيز في كيفية إخراج ريما بكفالة رغم الأدلة والإدانة التي كنت أنت قد قدمتها للمحكمة القضائية، وأنت من أمرت بمحاكمتها في أقرب وقت. الآن كيف ستقوم بتبرئتها؟ فكر يا رجل قليلاً."

أجابته بثبات وبعد تفكير طويل :

"نعم، ماذا عن الاستعانة بحسام؟" يبدو أن علاقتك معه للأبس بها صحيح؟

حينها نظر إلي رائد وقال:

- "أنت تعلم أن حسام يعمل في مجال المخبرات، كيف سيساعدك في تبرئة ريما؟"  
أجبت:

- "في الواقع، عم حسام هو القاضي المسؤول عن محاكمة ريما. عندما أتحدث معه، قد يساعدنا في الحصول على كفالة مؤقتة."  
نظر إلي رائد بدهشة وقال:

- "هل عم حسام هو القاضي؟ لم أكن أعلم!"

قلت له:

- "نعم، هذا قد يكون طريقنا الوحيد الآن."

ثم أضفت:

- "دعني أعقد إتفاقا معه ، فهو لا يكرهني، ولكنه قد يغار قليلاً بسبب تفوقي عليه. لهذا سأراهنه بمنصبي، وأنا متأكد أنه سيوافق."

رد رائد متفاجئاً:

"هل جنت؟ ماذا تريد أن تفعل؟"

أجبت بثقة:

"دعني أتعامل مع الأمر، لكنك يجب أن تنظم لي مقابلة مع حسام. أنت تعلم أنه يأتيني عن طريقك أكثر من طريقي"

بعد ذلك، عم السكوت بيننا ، وأدرت مفتاح السيارة ليبدأ المحرك بالعمل معلنا بذلك عن إنطلاقنا . متجهين إلى منازلنا ن فكر فيما سوف يحدث مستقبلا بعد كل هذه الحقائق وفيما ينتظرنا .

وفي الطريق، قطع رائد الصمت قائلاً:

- "تذكرت، أسر، اليوم كنت قد حققت مع ريما والعم فارس، لكنك أيضًا تعاقدت مع والدك على أنك ستبرئ ريما. كيف ستعامل مع هذا؟ إذا كنت قد قدمت طلبا وأمرت بمحاكمتها بسرعة، فكيف ستخرجها بكفالة؟"

حينها أجبته وعيناي لم تتحرك لحظة عن الطريق الذي أمامي:

- "كنت أفكر في ذلك. الحقيقة، لقد قررت أن أكمل التحقيقات لمدة أربعة أيام أخرى، ثم أتحدث مع حسام وأحاول التوصل إلى اتفاق. إذا قَبِلَ الإتفاق معي حينها سأرفع تقريرًا إلى المحكمة مفاده أنني لم أجد شيئًا يذكر في الأدلة، وأن احتمالية تورط المشتبه بهما قليلة، وأطلب استعجال المحكمة .

وقلت في نفسي :

-إذن، لنر ما لديك يا ريما، وما هي الأسرار التي ستكشف بفضلك، ربما تغير مجرى حياتي إلى الأبد. لنزيا ابنة كمال... هل تشبهينه؟ أم أنك مختلفة؟"

\*\*\*

عدنا إلى المنزل، أنا ورائد، خاصة وأننا نمتلك شقة مشتركة. صحيح أن رائد يمتلك شقة خاصة به، لكنها تبعد قليلاً، لذلك قرر المبيت معي. كانت لنا غرف منفصلة، ومطبخ مشترك، وكل ما يلزمنا، لكن بصراحة، لم أستطع النوم تلك الليلة.

ظلمت مستغرقًا في التفكير، في كل ما قد يحدث غدًا، وفي التحقيق القادم مع ريما، الذي كنت أتطلع إليه بشغف. كنت قد قررت استكمال التحقيق لأربعة أيام أخرى، بينما أوّجل التصريح ببراءة العم فارس إلى حين اكتمال الأدلة، إذ لم يكن له علاقة واضحة بالجريمة.

الليل مرّ ببطء، وأفكاري لم تهدأ ولو للحظة. كانت الساعات تتعاقب وأنا غارق في التفكير، حتى سمعت أذان الفجر يصدح في الحي. نهضت، توضأت، ثم توجهت إلى المسجد للصلاة مع رواد الفجر المعتادين. هناك، دعوت الله أن يسهل لي أمري، وأن أكون عادلاً، فلا أظلم أحداً، وأن تكشف الحقائق دون أن تكون صادمة أو مدمرة لحياتي وسمعتي.

بعد الصلاة، عدت إلى الشقة، وأعددت الفطور، ثم ذهبت لإيقاظ رائد. لكن ما إن دخلت غرفته حتى وجدته مستيقظاً

بالفعل، والهالات السوداء تحت عينيه كانت تخبرني أنه لم يحظَ  
بنصيبه من النوم أيضاً. نهض، اغتسل، وصلى الفجر، ثم جلسنا  
نتناول الفطور معاً. جهزنا أنفسنا، ثم خرج كل منا إلى وجهته  
المعتادة؛ أنا إلى المركز، ورائد إلى مهمته الخاصة، التي أوكلتها إليه:  
التحقيق في خلفية كمال، سواء علاقته بزوجه أو أسرته.

ما إن وصلت إلى المركز، حتى ألقىت التحية على رجالي، الذين  
بادلوني التحية باحترام، ثم دخلت إلى مكثي، ونظمت بعض  
الأوراق، قبل أن أمر أحد الرجال بتجهيز غرفة التحقيق

لاستجواب المشتبه بها مجددًا. لم تمض سوى لحظات حتى  
جاءني أحدهم قائلاً باحترام:

- "سيدي، هل أحضر المشتبه بها؟"

أومأت إليه بالإيجاب، فذهب، بينما سيقته إلى غرفة التحقيق  
وانتظرت رؤيتها.

لم يمر الكثير من الوقت حتى دخلت ريمًا. بدت مكتئبة، شاحبة  
الوجه، والهالات السوداء تحت عينيها كانت واضحة. كان التعب  
والحزن يكسوان ملامحها، لكنها التزمت الصمت تمامًا.

أشرت إليها بالجلوس، لكنها لم تنطق بحرف واحد. لاحظت  
نظراتها المرتبكة لي، قبل أن تخفض رأسها في صمت. عندها،  
سألها ببرود:

- "ما بالك؟ لماذا تبدين على هذه الحال؟ لم تنامي جيدًا؟"

لكنها لم تجب، فقط رفعت عينيها نحوي للحظات، ثم عادت  
تخفض رأسها بصمت.

تنفست بعمق، ثم قلت بلهجة صارمة:

- "اسمعي يا ريما، سأطرح عليك مجموعة من الأسئلة، وأتمنى أن تتعاوني معي، وألا تكرري الحديث السخيف الذي قلته في المرة السابقة."

أومأت برأسها دون أن تنبس بكلمة، فبدأت بالسؤال الأهم:

- "ما دافعك لارتكاب الجريمة؟"

لكنها، وعلى غير المتوقع، أجابت بهدوء لم يخالطه أدنى توتر أو غضب، قائلة:

"قلت لك من قبل، لم أرتكبها. لم أقتل أُمي. سواء صدقتي أم لا، فلن تستطيع إلصاق تهمة بي لم أفعلها. ولن أعترف بذنب لم أقرّفه."

نظرت إليها بصمت، محاولاً تحليل نبرتها، لكن ردّها كان ثابتاً... وهادئاً جداً.

واصلت استجواب ريما بمجموعة من الأسئلة، لكن ما لفت انتباهي هو أنها لم تعد تلك الفتاة الغاضبة أو المنفعلة كما كانت في السابق. بدت وكأنها مجرد جسد بلا روح، لا تقوى على الدفاع عن نفسها أو الصراخ، فقط صمت وهدوء أشبه بالموت. كانت تلك النظرات المنكسرة تثير فضولي أكثر من أي إجابة قد تقدمها.

في المساء، أجريت تحقيقًا آخر مع العم فارس، فقد كنت بحاجة لإنهاء استجوابه، خاصة وأنني طلبت الإذن رسميًا بإجراء التحقيقات معه قبل أن أبرم الاتفاق مع والدي. مرّ التحقيق كما توقعت، ثم عدت إلى المنزل مع رائد، حيث كان كل شيء يسير كالمعتاد حتى اليوم التالي.

في الصباح، كنت قد حسمت قراري بإطلاق سراح العم فارس، بعد أن تأكدت من أن جميع الأدلة المتوفرة لدينا تثبت براءته. بل في الواقع، كل دليل جديد كان يدعم موقفه أكثر، حتى طغت أدلة براءته على أي شكوك قد تدينه.

توجهت إلى زنزانته، وعندما وصلت، فتح لي أحد رجال الباب، فدخلت ومعني الأوراق التي عليه توقيعها لاستكمال إجراءات خروجه. بمجرد أن رأيته، ابتسم وقال:

- "تفضل يا بُني."

أما ريما، فقد كانت هناك، تنظر إليّ بصمت، لكنها لم تُظهر أي اهتمام يذكر. اقتربت من العم فارس وأخبرته رسميًا:

- "لقد تم إثبات براءتك، بعد أن كشفت التحقيقات وجود شهود رأوك في الوقت الذي اكتُشفت فيه الجثة، إضافة إلى الأدلة التي حصلنا عليها من مكالمة ريما وأمور أخرى. تم تبرئتك جزئيًا، لكنك

ستخضع للمراقبة لمدة ثلاثة أشهر، مما سيُقيّد حركتك قليلاً،  
قبل أن تستعيد حريتك بالكامل."

نظر إليّ العم فارس نظرة ثابتة، قبل أن يبتسم ابتسامة غامضة  
وقال بهدوء:

"إذن، هل ناداك هل فعلها حقًا؟"

لم أفهم تمامًا ما قصده، لكنني لم أتفاجأ من طريقته المليئة  
بالألغاز. كان واضحًا أنه يعرف أكثر مما يقول، لكنه يرفض  
التصريح بكل شيء. لم يكن هذا الوقت المناسب للضغط عليه،  
لكنني كنت واثقًا من أنني سأكشف الحقيقة عاجلاً أم آجلاً،  
خصوصًا بعد العثور على كمال.

التفتُ إلى ريماء التي كانت تجلس شاحبة الوجه، شاردة الذهن،  
وكأنها شخص آخر تمامًا. قلت لها بصوت منخفض، لكن بنبرة  
ذات مغزى:

"يبدو أنك لست فتاة سهلة كما كنتُ أعتقد."

تبدلت ملامحها فورًا، واتسعت عيناها بصدمة، قبل أن تسألني  
بتوجس:

"ماذا تعني بذلك؟"

ابتسمت ابتسامة خفيفة، ثم قلت:

"هذا يعني أنك ستخرجين من هنا قريبًا، ولكن... بطريقة أخرى."

لم أنتظر ردّها، بل التفتُ إلى العم فارس، وخرجت معه من الزنانة، تاركًا إياها وحدها مع أفكارها. لم ألتفت إليها، لكنني سمعتها تهمس ببعض الكلمات لم أفهمها.

بمجرد أن خرجت من المركز، اتصلت برائد وسألته عمّا إذا تمكن من ترتيب لقائي مع حسام. لم يستغرق الأمر طويلاً حتى أجابني قائلاً:

"تحدثت مع حسام، وقد وافق على لقائك. سيكون اللقاء غدًا تمام الساعة السابعة مساءً في الحديقة العامة. لكن... طلب ألا أحضر، أي أنك ستقابله وحدك."

ارتسمت على شفتي ابتسامة جانبية، وأنا أستمع لكلمات رائد، ثم شكرته على مجهوداته.

والآن، لم يتبق لي سوى الانتظار... والبدء في التفكير بعمق فيما سأقوله لحسام، وما إذا كان سيتعاون معي، أم أن الأمور ستأخذ منحى آخر تمامًا

## ثلاثون يوما فقط

أخذت أتحدث مع نفسي :

- "ما بال هذا الرجل؟ يقول كلمات غريبة ثم يختفي وكأن شيئاً لم يكن... لقد أُطلق سراح العم فارس، ذلك الرجل العجوز الذي لم يكن يستحق أن يقضي ولو يوماً واحداً في هذا المكان القذر. فرحت من أجله، لكن ماذا عني؟ لقد كان يؤنسني قليلاً... كنت أعتبره بمثابة والدي، والآن أنا وحدي من جديد..."

- "يا إلهي، هذه الغرفة أشبه بالقبر، حتى الحيوان - أكرمكم الله - قد يرفض العيش هنا. الجدران ممزقة، والإضاءة الخافتة تكاد تعمي عيني، تشوّش أفكاري، تدفعني إلى الجنون... لا أستطيع الهروب من الأفكار التي تنهش عقلي، ماذا أفعل الآن؟"

- "وكان كل هذا لا يكفي، ليأتي ذلك المحقق المهووس بكلماته الغامضة ليزيد الأمر سوءاً! ماذا كان يقصد عندما قال إنني لست فتاة سهلة؟ وماذا كان يعني بقوله إنني سأخرج من هنا قريباً؟ هل يقصد أن هناك دليلاً جديداً على براءتي؟ أم أنه رأف بحالي وأدرك أنه اتهمني ظلماً؟ لكن لماذا الآن؟ لماذا ظهرت أدلة براءة العم فارس، بينما لم تظهر براءتي من البداية؟"

- "آه... ما كان يجب عليّ أن ألمس أُمي في تلك اللحظة... هذه الـيدان، يداي أنا، هما السبب في أنني لم أحضر جنازتها، السبب في كل هذا العذاب... لكن لحظة، هناك شيء لا أفهمه. صحيح أنه محقق يكره أبي... يكرهني... وكلماته الجارحة واتهاماته الباطلة مزقتني، لكنه في الوقت ذاته، لم يكن يعامل العم فارس بعدوانية كما عاملني... كان صارمًا، قاسيًا، لكنه لم يكن ظالمًا له... لا أعلم، هل كان ذلك احترامًا لكبير سنّه؟ أم أنني أتوهم؟"

"تَبًّا لِكَ يا ريمًا، هل جننتِ؟ هل تكرهينه أم أنك بدأتِ تشفقين عليه؟ لا، لا بهم، هذا ليس الوقت المناسب لهذه الأفكار السخيفة! ما بهم الآن هو أنني يجب أن أعرف الحقيقة... لماذا قال إنني لست فتاة سهلة؟ كيف سأخرج من هنا؟ وعن طريق من؟ هل عثر رجاله على دليل يثبت براءتي؟ لا، مستحيل! ذلك المخبول يتمنى لو كنت مذنبه كي يُرضي غروره ويثبت أنه كان على حق! فكيف له الآن أن يكون سببًا في خروجي؟ لا يمكن!"

- لكن هناك شيء واحد أنا متأكدة منه...

لن أغمض لي جفن حتى أجد والدي وأعرف الحقيقة كاملة.  
سأفعل المستحيل، حتى لو اضطررت لخرق القوانين، حتى لو  
اضطررت لفعل أشياء قد يرفضها الجميع... لن يوقفني شيء  
عن الانتقام لأي... لن يوقفني شيء عن معرفة من كان السبب  
في كل هذا العذاب"

في صباح اليوم التالي، نهضتُ من سريري مسرعًا، وكعادتي، صليتُ الفجر، تناولتُ فطوري، ثم خرجتُ إلى مركز الشرطة. لم أكن في مزاج جيد لإجراء التحقيق مع ريماء في يومها الثالث، خاصة وأنني في النهاية سأبرئها بكفالة مقابل الحصول على ما أريده من والدي، وهي ستبقى لديه مؤقتًا.

لكن... هل أنا حقًا أفعل الشيء الصحيح؟ هل أُلقي بهذه الفتاة المسكينة بين يدي والدي؟ هل يريدونها فقط لأنه قدّم وعدًا لصديقه، أم أن هناك شيئًا آخر؟ لا أعلم، ولكن كل ما أستطيع فعله الآن هو التأكد من قدرتي على تنفيذ خطي، وما سيحدث لاحقًا ستقرره الأيام.

قاطع أفكارني صوت رنين هاتفي. كان المتصل رقمًا غريبًا، لكنني أجبتُ على الفور. ما إن رفعتُ الهاتف حتى سمعتُ صوتًا مألوفًا بالنسبة لي، صوتًا هادئًا لكن حازمًا، قائلاً:

- "السلام عليكم، مرحبًا يا قائد."

أجبتُ وأنا أحاول تمييز الصوت:

- "أوه، وعليكم السلام... من معي؟"

فجاءني الرد سريعًا:

- "ألم تعرفني حقًا؟ أنا الشخص الذي أرسلتَ رائد من أجله...  
لقاؤنا اليوم، أليس كذلك؟ فقط اتصلتُ لأخبرك أنني أريد تقديم  
الموعد. هل أنت موافق؟"

حينها، أدركتُ من المتحدث، وقلتُ بدهشة ممزوجة بضحكة  
خفيفة:

- "حسام! مرحبًا يا رجل، كيف حالك؟ حسنًا، قلتَ إنك تريد  
تقديم الموعد، صحيح؟"

أجابني بثقة:

- "نعم، يا رجل. فهل توافق؟"

شعرتُ بسعادة غامرة، فكلمنا استطعنا تقديم الموعد، كلما  
كسبتُ المزيد من الوقت لمصلحتي. فقلتُ بحماس:

- "بالطبع أوافق! متى تريد أن نلتقي؟"

- "الساعة 11:00 صباحًا."

نظرتُ إلى الساعة، فوجدتها الثامنة، أي أن أمامي ثلاث ساعات  
حتى اللقاء. فقلتُ له:

- "حسنًا، لكن ما سبب التقديم المفاجئ؟"

أجابني بصراحة:

- "المساء ليس مناسبًا لي، لدي مهمة أخرى في الساعة السابعة،  
وبما أنني قد وعدتُ رائد بلقائك، قررتُ تقديم الموعد حتى تنتهي  
من لقائنا ونباشر بالمهمة."

أومأت برأسي رغم أنه لا يراني، ثم قلتُ بحزم:

- "حسنًا، متفقون. سنلتقي بعد ثلاث ساعات في الحديقة  
العامّة، صحيح؟"

- "بالضبط، لكن تذكّر، لا تحضر معك أحدًا. أنت تعرف طبيعة  
عملي، لا يجب أن يُكشف شيء عن هويتي، أليس كذلك، قائد  
أسر؟"

أجبتُه بثقة:

- "أعلم ذلك جيدًا، لا تقلق. نلتقي بعد ثلاث ساعات بإذن الله."  
أنهينا الاتصال، وبينما وضعتُ الهاتف جانبًا، شعرتُ بفرحة  
غامرة. لأنني لم أعد أستطيع الإنتظار حتى الساعة السابعة و  
الآن تقدم الموعد إلى الساعة الحادية عشر

خرجتُ من المنزل متوجهًا إلى مركز الشرطة. هناك، بدأتُ بتفقد  
بعض الأوراق الخاصة بالقضايا التي توليتها مؤخرًا، إلى أن

قاطعني أحد رجالي وهو يقتحم مكتبي على عجل. بدا على وجهه  
بعض التوتر وهو يقول:

- "سيدي، الفتاة لم تتناول شيئاً منذ البارحة."

قطبتُ حاجبي بغضب وسألته بحزم:

- "ماذا تعني؟ ألم تعطوها الطعام؟"

ارتبك قليلاً قبل أن يجيب بتردد واضح:

- "نحن نقدّم لها الطعام، سيدي، لكنها ترفض تناوله. نضعه  
أمامها، لكنها تكثفي بوضعه جانباً، ثم تعود لخلوتها مع الله. منذ  
الأمس وهي صامتة تماماً، كل ما تفعله هو الصلاة والدعاء. بعد  
أن طلبت عبادة وسجادة، لم تتوقف عن الصلاة، خاصة بعد  
خروجك أنت وذلك الشيخ من الزنزانة. حتى الرجال لاحظوا تغيير  
ملامحها، فقد أصبحت باردة تماماً، وتبدو وكأنها منعزلة عن كل  
شيء."

رائع! هذا ما كان ينقصني، عناد فتاة مثلها هو آخر ما أحجاجة  
وسط هذه الفوضى والتراكمات في القضايا المحيطة بي.

نهضتُ بسرعة من مكثبي، متوجهًا إلى زنزانتي. وبمجرد أن فتح رجالي الباب، دخلتُ لأجدها جالسة على سجادتها، تعطي ظهرها لي وللباب، تسجد وتدعو، وكأننا غير موجودين.

اقتربتُ منها قائلاً بصوت هادئ لكن حازم:

- "هيا، فتاة، لسنا بحاجة إلى موت شخص آخر هنا. لماذا لا تتناولين طعامك؟"

لكنها لم تلتفت إليّ، وظلت تنظر إلى سجادتها وتواصل الدعاء بصوت خافت.

قررتُ أن أقول شيئًا قد يجبرها على الاستماع:

- "يا فتاة، لقد اقترب موعد خروجك... يبدو أن الله قد استجاب لدعائك. لكن، عندما تتسبب في قتل نفسك، ألا تشعرين بالخزي؟ أن تموتي من الجوع قبل أن تعرفي من هو المجرم الحقيقي وراء معاناتك؟"

توقفت فجأة، أنزلت يديها بعد أن كانت مرفوعة بالدعاء، ثم رفعت رأسها لتنظر إليّ.

وهنا، شعرتُ بشيء غريب...

ما بال هذا القلب الذي يخفق بقوة؟ لماذا أشعر بهذا التوتر لمجرد أن عينيها التقت بعيني؟ كم مرة نظرتُ إليها من قبل، لكن هذه المرة مختلفة... وجهها هادئ، الوشاح يغطي رأسها، العبادة تزيد من سترها وجمالها، وسجادة الصلاة بجانبها...

نظرتُ إليّ بنظرة راجية وقالت بهدوء:

- "لن يحدث شيء ما لم يكتبه الله لي. فإن كُتِب لي الموت جوعاً، فسأمت ولو كنت أمام مائدة مليئة بأشهى الأطعمة. وإن كُتِب لي البقاء، فسأعيش حتى لو كنت في صحراء قاحلة بلا ماء ولا طعام. أعلم جيداً، أيها المحقق، أن كل ما حدث لي هو بإذن الله، وأول خطوة في طريقي للانتقام وإطفاء النيران التي تشتعل في قلبي... هي أن أسأله التوفيق والهداية إلى الطريق الصحيح."

صمتُ للحظات، لا أعرف ما الذي جرى لي. لغة العيون وحدها كانت تتحدث بيننا، وصوت داخلي يكاد يصرخ من شدة اضطرابي. أنزلتُ رأسي قليلاً، ثم استدرتُ وخرجتُ دون أن أنطق بكلمة.

أمرتُ رجالي بإغلاق الزنزانة وتركها في خلوتها مع الله، ثم قلت لهم: - "قدّموا لها طعاماً مختلفاً عن الذي نقدّمه عادة للمشتبه بهم، لعلها تشتهيّه وتأكله."

دخلتُ مكثي مسرعًا، وقلبي لا يزال يخفق بقوة. ما الذي يحدث لي؟ لماذا شعرتُ بهذا الشعور عندما رأيته بتلك الهيئة؟ لماذا شعرتُ وكأنني أراها لأول مرة، رغم أنني رأيته مئات المرات من قبل؟

مررتُ يدي على وجهي واستغرقتُ في التفكير، ثم تمتمتُ بصوت منخفض:

- "استغفر الله العظيم... أسر، ما بالك أيها الغبي؟ لا بد أن هذا الشعور مجرد شفقة لأنها لم تأكل شيئًا... لا بأس، سيزول كل هذا بمجرد إطلاق سراحها، بمجرد أن تجد والدها، وبمجرد أن آخذ انتقامي... حينها، لن يربطني بهذه الفتاة أي شيء."

بعد ساعات من التفكير فيما حدث لي، قطع صوت هاتفي شرودي. كان المتصل رائد.

- "أين أنت يا أسر؟"

نظرتُ إلى الساعة في مكثي، فوجدتها تشير إلى الحادية عشرة تمامًا. انتفضتُ من مكاني بفرع وهتفت:

"يا إلهي! لن ألحق بالموعد!"

ثم انتهتُ أنني لا زلت على الخط مع رائد، فقلت بسرعة:

"رائد، اتصل بحسام وأخبره أنني قادم حاليًا... لا، دعني أتصل به بنفسي."

لكن رائد ردّ بثقة:

"لا تقلق، سأتولى الأمر."

خرجتُ مسرعًا من المكتب، ركبتُ سيارتي وانطلقتُ بسرعة إلى الحديقة العامة، بينما كنتُ ألوم نفسي:

كيف نسيتُ الموعد بعد أن كنتُ متحمسًا جدًا للقاءه؟ نعم، السبب واضح... تلك الفتاة! حسنا، أخرجها من عقلك الآن، وركّز على الطريق.

واصلتُ القيادة حتى لمُخْتُ الحديقة العامة، فأوقفتُ السيارةً  
ونزلتُ بسرعة متوجّهًا إلى مكان لقائنا. هناك، لمُخْتُ رجلًا يرتدي  
ملابس سوداء بالكامل، وجهه مخفيّ تحت قبعة سترته. ناديتُ  
باسمه:

"حسام!"

استدار نحوي بخطوات ثابتة، ثم قال ببرود:

- "تأخّرتَ يا رجل، كان من المفترض أن أجِدك أمامي، لا أن  
أنتظرك!"

تهدّيتُ وقلتُ معترضًا:

- "عذرًا، قضيةٌ ما استغرقت وقتًا أطول من المتوقع."

لم يبدُ مهتمًا بعذري، فقال بلهجة عملية:

- "حسناً، قُل بسرعة، ماذا تريد؟ ليس من عادتك طلب  
المساعدة، فأنت تحلّ أمورك بنفسك. ما سبب هذا اللقاء  
المفاجئ؟"

نظرتُ في عينيه بثبات وقلتُ:

- "أريد أن أُبرم معك اتفاقًا، ما رأيك؟"

ابتسم ابتسامة خبيثة وقال:

- "قل ما لديك."

تقدّمتُ نحوه قليلاً وقلتُ بصوت منخفض:

- "عمّك هو القاضي الذي سيحكم في قضية قتل زوجة كمال،  
صحيح؟"

أوما برأسه علامة الموافقة، فأكملتُ:

- "أريد أن يوافق على إخراج ابنته بكفالة مؤقتة، وفي المقابل...  
سأمنحك أي شيء تريده."

انفجر ضاحكاً وقال بسخرية:

- "أنت تمزح، صحيح؟ قل لي إنك تمزح يا آسر!"

نظرتُ إليه بجدية وقلتُ:

- "أنا جادٌّ تمامًا."

توقّف عن الضحك وحدّق في وجهي للحظات، ثم قال ببطء:

"إذًا، تريد مني إقناع عمي بإطلاق سراح ابنة كمال مؤقتًا، مقابل تنفيذ ما أطلبه منك، أليس كذلك؟"

ابتسمتُ قليلاً وقلتُ:

- "يبدو أنك سعيد بهذه الفكرة."

ضحك مجدداً ثم قال:

"حسناً، ماذا لو كان طلبي هو منصبك؟ هل ستتخلى عنه من أجلها؟"

شعرتُ بتوتر داخلي، لكنني رفضتُ إظهاره له. شددتُ قبضتي بغضب وقلتُ بحدة:

- "منصبي؟"

ابتسم بخبث وأردف:

- "نعم، ستتخلى عن منصبك، وتستقيل نهائياً من الشرطة، ولن تعمل في هذا المجال مجدداً. في المقابل، سأجعل عمي يبرئها تماماً، وليس فقط بكفالة مؤقتة. ما رأيك؟"

ساد الصمت للحظات، قبل أن أقطعه بحزم:

- "هذا مستحيل! لن أتخلى عن منصبي. اطلب شيئاً آخر."

رفع حاجبه وقال:

- "حسنًا، ما اقتراحك إذًا؟"

تنفستُ بعمق وقلتُ:

- "أريدك فقط أن تطلب من عمك أن يمنحها كفالة مؤقتة، قابلة لتغيير الحكم لاحقًا. في تلك الفترة، سيدخل محامها ليؤجل قرار القاضي، مما يسمح لها بالبقاء خارج السجن. خلال هذا الوقت، سأعمل على إثبات براءتها."

قمقه ساخرًا ثم قال:

- "أنت من يحتاجني، وليس العكس، هل تفهم ذلك؟ لكن... بما أنك مصرٌّ وعنيد، ونوعًا ما تعجبني شجاعتك، سأقدم لك عرضًا آخر."

تقدّم خطوة نحوي وأكمل بصوت منخفض:

- "سأمنحك 30 يومًا فقط. خلال هذه المدة، سيتم تأجيل المحاكمة، وستكون الفتاة خارج السجن بكفالة مؤقتة. لكن إن فشلت في إثبات براءتها خلال الشهر المحدد، فستخسر كل شيء."

حدّقتُ فيه بتركيز بينما تابع:

- "كمال... أنت تعلم مدى عدائه للشرطة، صحيح؟ إن لم تثبت  
براءة ابنته، فسوف يتم اعتقالها مجددًا بتهمة القتل، وستُلغى  
الكفالة، ولن تعمل في هذا المجال مجددًا."

توقّف للحظة، ثم نظر إليّ نظرة أخيرة وقال:

- "الآن، ليس هناك المزيد من الكلام. فالحياة لا تنتظر أحدًا إما  
القبول أو الرفض... أو اتركني أذهب."

فكرت في كلماته قليلاً، وأدركت أنه لا يوجد حل آخر سوى قبول عرضه. لكن في نفس الوقت، كنتُ أخاطر بمنصبي الذي عملت فيه لأكثر من عشر سنوات، وهو المنصب الذي كان حلبي منذ أن رأيت حالة أُمي تلك. حينها أخذتُ عهداً على نفسي بالانتقام لها ومعرفة من فعل بها هكذا. رغم أنني أعلم أن والدي هو السبب الرئيسي في ذلك، وكمال له يد في الأمر أيضاً. لكن لا أستطيع إدانتهم دون وجود دليل قوي.

قطعت تلك الأفكار عندما سمعته يفرقع أصابعه أمام وجهي، ليقاطعني قائلاً:

- "قلت لك، ليس لدي الوقت كله. تقبل أو ترفض! 30 يوماً تحدد مصيرك ومصير ابنة كمال."

كنتُ في حالة صمت للحظات، ثم أجبت بعزم وثقة:

- "حسام، أقبل."

نظرت بابتسامة تحدي ثم قلت له :

"حسناً، إذاً قم بالتحضير لكي تكون المحكمة بعد غدٍ لإصدار حكم خروجها بكفالة مؤقتة. بعد ذلك، سأعين محامي لها وأطلب من محاميها تأجيل المحاكمة بعد إصدار قرار كفالتها لأنه

قرار غير عادل .حينها اقنع عمك أن يقبل طلب المحامي بتأجيل المحاكمة النهائية لنتمكن من جمع الأدلة، وفي النهاية ستتغير الكفالة المؤقتة إلى براءة عندما أجد كمال خلال الـ30 يومًا حين تتم المحاكمة النهائية لريما "

ثم أكملت قائلًا :

— "حسام، أخبر عمك أن يجعلها لمدة 30 يومًا. سأترك عملي إن فشلت في ذلك أعدك "

نظر إليّ بعينيه المتحديتين ثم ضحك بصوت منخفض:

- "أنت حقًا شجاع، هذا ما جعلني أقبل عرضك. لنرى إذا كنت ستصل إلى هدفك أم لا. الأيام بيننا. طالما أن ما نفعله لا يخالف القانون، فإن عمي سيتعاون، فهو رجل قانون ويؤمن بالبراءة ما لم تكن أدلة الإدانة للمجرم واضحة."

ثم ابتسم وقال لي:

- "حسنًا، اعثر على محامٍ لها يكون حليفًا لك. سأؤكد من أن عمي سيساعدنا."

أجبت بابتسامة:

- "كما هو متوقع منك يا رجل المخابرات، سريع البديهة، وتزن كلماتك جيداً."

ضحكنا معاً، ثم فهم كل منا ما سيحدث في الأيام القادمة. بعد ذلك، توجهتُ إلى مركز الشرطة لأخبر الفتاة أنه سيتم تعيين محامٍ لها، وأنها يجب أن توقع عليه ليكون محامها في المحاكمة القادمة بعد غدٍ.

كنتُ جالسة أدعو الله وأتضرع إليه راجية منه أن يوفقني في الطريق الذي سأسلكه بعد خروجي من هذا السجن، حينها فتح أحد رجال القائد الزنزانة ليحضر لي طعامًا، كان مختلفًا عن المعتاد، وأصبح شهياً جدًا. لم أستطع إلا أن أشعر بالفرح لأنه من الأطعمة التي أحبها. وضعها بجانبني وقال لي:

- "تفضلي، القائد أسر أوصانا أن نتأكد من أنك ستأكلين هذا الطعام، فلو لم تفعلي، سيؤبخنا."

استغربت من كلماته، وهممت له بالموافقة. و شكرته على الطعام، ثم تركني وحدي في الزنزانة. نظرت إلى الطعام، الذي كان يبدو لذيذًا للغاية، ورائحته كانت تأسرني. مع جوعي الشديد، كان الطعام مغريًا أكثر من أي وقت مضى. ثم تذكرت كلمات الرجل عن توبيخ القائد لهم إن لم أتناول الطعام، فشعرت بالفضول وبدأت أكل بشراهة.

بينما كنت أتناول الطعام، فتح الباب فجأة. توقعت أن أحد رجال الشرطة قد نسي شيئًا، ولكن كان القائد أسر هو من دخل. عندما رأني إبتسم بشكل غريب. كان يبدو وكأنه يسخر مني. قال لي:

-رائع، يبدو أنك أخيراً اقتنعت بفكرة أن تخرجي نفسك من الجوع."

لم أجب عليه، وواصلت تناول الطعام وكأنني لا أراه. اقترب مني وجلس بجانبني، مما جعلني أشعر بشيء غريب في هذا الموقف. نظر إليّ مبتسماً، لكن ابتسامته كانت مختلفة عن تلك السخرية المعتادة. ثم قال:

- "هل أعجبك الطعام؟"

استمررت في تجاهله، ولكن فجأة أخرج من جيبه منديلاً وقدمه لي قائلاً:

— "تفضلي، وجهك أصبح مشوهاً بالطعام."

شعرت بالحرج الشديد، حيث تبين أنه كان يضحك عليّ، على مظهري الذي أصبح مغطى بالطعام. أخذت المنديل منه ومسحت فمي بسرعة، محاولة أن أستعيد بعض كرامتي. لكن القائد انفجر ضاحكاً، هذه المرة ليس ابتسامة ساخرة، بل ضحكاً حقيقياً. كانت ضحكته جميلة بشكل مفاجئ، لم أتوقعها من شخص قاسي مثله.

فجأة، توقفت عن الأكل وقلت له:

— "ماذا تريد؟ لماذا أتيت إلى هنا؟"

تغيرت ملامح وجهه من الضحك إلى الجدية. وقال لي:

- "أحتاج توقيعك. سأقوم بتوكيل محامي لك، لأن محكمتك ستكون بعد الغد."

اندهشتُ من كلماته، وتوقفت عن الأكل مرة أخرى، ثم سألته:

- "ماذا تعني محكمة بعد الغد؟"

قال لي وهو يجيب:

- "سأقوم بتبرئتك مؤقتًا. في المحكمة سيكون لكي محامي للدفاع عنك، لأن هناك قاضيًا و الإدعاء العام الذي سيكون ضدك. إن كان لديك محامي تعرفينه، أخبريني."

صمت للحظات وأنا أحرق في عينيه، ولم أصدق ما يقوله. ثم سألت:

- "هل أنت جاد؟"

أجابني:

- "نعم، أنا جاد. أم أنك تفضلين البقاء هنا؟"

فقلت له ونبرة الجِد تَأْكُل صوتي :

- "لا أريد البقاء هنا. أريد الخروج. ولكنني لا أعرف أي محامي."

أجابني، وكأنني كنت أتوقع هذا، قائلاً:

- "لهذا السبب وكلت محامياً لك. كل ما عليك هو أن توقعي على

الأوراق، ليبدأ المحامي في جمع الأدلة."

توقفت للحظة، ثم قلت له:

- "لماذا يجب عليّ الوثوق بك؟ أنت تكرهني وتكره أبي. لماذا الآن

حريص على تبرئتي بعدما كنت أول من اتهمني؟"

تغيرت ملامحه فجأة، وعادت عيناه تحملان نظرة قاسية كما في

أول لقاء بيننا، وقال لي:

- "أنا لا أفعل هذا من أجلك. بل من أجل مصلحتي. أبرمت اتفاقاً

مع شخص ما، وضمن حصولي على ما أريد ومحاسبة والدك على

أفعاله هو حريتك."

ثم أكمل قائلاً:

- "سواء قبلتِ أو رفضتِ هذا المحامي، فهو سيكون محامياً لك.

جئت لأعلمك، لا لأستشيرك."

عادت شخصيته القاسية التي عرفتها، فاستوعبت أنه لا فائدة من المناقشة معه. أخبرته:

"أيًا كان ما ستفعله، أنا موافقة على المحامي. ولكن عليك أن تأخذ في اعتبارك أنني لا أنسى كلماتك أو معاملتك. سيأخذ كل منا جزاءه من الآخر بطريقته الخاصة، يا قائد أسر."

لقد كانت كلماتها التي وصلت إلى مسامعي مليئة بالتحدي، وهذا ما جذبني فيها. في تلك اللحظة، عندما عادت إلى شخصيتها التي تميل للكلام كثيرًا، لسانها الحاد في كلماته وعشقها للتحدي وتمسكها بقراراتها، أدركت أنها ليست فتاة سهلة. هذه هي الشخصية التي أحب، ولاحظت كيف أن هذه الفتاة لا تخشى مواجهة الأوقات الصعبة.

في المساء، وصل المحامي الذي سيتولى الدفاع عن ريماء. كان المحامي قد أحضره صديقي رائد، الذي اعتبره أحد أبرز المحامين في مجاله، وقد حقق نجاحًا كبيرًا في القضايا التي تعامل معها. قمت بإدخال المحامي إلى الزنزانة، حيث إلتقى بريما، التي كانت طوال فترة حديثه منزلة رأسها بتواضع. كان أحد الأشياء التي أحببتها في هذه الفتاة هو حياؤها، لكنها كانت تختلف تمامًا في تصرفاتها معي. كانت تنظر إليّ وكأنني أكبر عدو لها، بينما كانت في

تعاملها مع الآخرين هادئة ومتواضعة للغاية. كنت قد لاحظت هذه التفصيلات خلال تفاعلها مع المحامي .

خلال حديث المحامي معها، كانت تستمع إليه بهدوء، وعندما أرادت أن تسأله عن شيء، كانت تفعل ذلك بأدب، وكان يجيبها بكل هدوء. وبعد أن وقعت على الأوراق، بدأ كل شيء يتضح لي. بعد غد ستكون بداية مصيرها، فبعد غد ستخرج بكفالة. أما بالنسبة لي، سأكون في انتظار أول خيط يقودني إلى معرفة الحقيقة.

مرت الأيام، يومًا بعد يوم، والساعات تتوالى مرورها. أصبح الليل بالنسبة لي هاجسًا أحشاه، فلا النوم يزورني و لازال التفكير يرفض الابتعاد عني. مرت الساعات واللحظات، وها هو صباح اليوم يسرقني من جديد. هذا الصباح هو يوم محاكمة ربما، وأرجو أن يكون حسام قد أوفى بوعده، و لا تحدث أي مشاكل قد تعيق سير الأمور.

نهضت كعادتي، صليت الفجر، وكان هذا الصباح صباحًا مصيريًا بالنسبة لي ولربما. دعوت الله في المسجد أن يسهل أمرنا، وأن يمر هذا اليوم بخير، وأن تخرج ربما من ذلك السجن. حينها سأواجه إلى والدي لأخذ ما يلزمي منه وفق العقد الذي بيننا . إتصلت برائد في الساعة 8:00 ليخبرني أن موعد المحاكمة سيكون في الساعة 9:30.

بعد المكالمة، جهزت نفسي وذهبت إلى المركز حيث مكتبي. أول ما دخلت المركز، توجهت مباشرة إلى زنزانه ربما. أخبرني رجالي أنها لم تنم طوال الليل، فقد كانوا يراقبونها وهي تصلي طوال الليل. في الحقيقة، كان من المستحيل أن يكون المجرم بهذا التدُّين وهذا الإيمان. هذا جعلني أقتنع ببراءتها بغض النظر عن الانتقام الذي كنت أنوي تنفيذه عن طريقها .

عندما دخلت الزنزانه، نظرت لي وقالت:

- "أخيراً، يا قائد."

تعجبت من كلماتها وأجبتها:

"اليوم سيكون يوماً يغير مصيرك، يا فتاة. أرجو منك أن تلتزمي الهدوء في المحاكمة، ولا تقولي أي شيء قد يعكر مجرى الأمور. الآن، سيحضر لك أحد رجالي بعض الأغراض لتغيير ملابسك، جهزي نفسك لأن محاكمتك ستكون بعد ساعة ونصف. سنذهب إلى المحكمة قبل موعدها بنصف ساعة لإتمام بعض الإجراءات القانونية. هل هذا مفهوم؟"

- أجابت بهدوء:

- "نعم، مفهوم."

ثم خرجت، و توجهت إلى مكنتي، أخذت بعض الأوراق واتصلت بمحامي ريماء، الذي أخبرني أنه سيكون في طريقه إلى المحكمة. تههدت وأنا على المكتب، وبدأت أفكر في أن اليوم سيكون بداية رحلة جديدة لي. رحلة طويلة قد تقودني إلى كمال. أرجو أن يوفقني الله في تحقيق العدالة، ليس فقط من أجل أمي، ولكن من أجل ريماء ومن أجل نفسي قبل كل شيء.

مرت اللحظات بسرعة، وما هو وقت المحكمة قد اقترب. بقي على المحاكمة نصف ساعة. توجهت إلى الزنزانة مجددًا، وناديت على ريمًا. نظرتُ إليُّ بعد أن غيرت ملابسها إلى عباءة وردية جميلة تناسب جسمها، وقد رفعت شعرها إلى كعكة صغيرة، كانت تبدو هادئة وبسيطة، ولها لمسة جمال خاصة. عيناها، التي كانت تشبهان عيون الغزال، كانت تراقبني. تلك العينين اللتين تحدثتا إلي، اللتين كرهتني وفي نفس الوقت جذبتني إليهما .

إستفقت من شرودي بعد أن دخل رائد وقال لي:

- "هيا يا رجل، ماذا بك؟ سوف نتأخر!"

فأمرت ريمًا باللحاق بي، لكن قبل أن تتحرك، تقدمت إليهما وفككت قيود يديها التي وضعها رجالي عليها لأنها سوف تخرج من المركز . لم أكن أعرف السبب الذي جعلني أتصرف هكذا، ولكن كان من الغريب أنني فككت القيود على الرغم من أنها ستخرج من السجن قريبًا. نظر إلي رائد مبتسمًا، وأنا لا أعرف سبب ابتسامته الغريبة. لكن ما كنت أعرفه هو أننا سنغادر الآن في طريقنا إلى المحكمة.

ركبت السيارة، وكان رائد سيجلس بجاني، لكنني أمرته بأن يأخذ إحدى سيارات الشرطة التي كانت تقف على جانب الطريق، وأن ريما هي من ستجلس بجاني. فقال لي رائد مستغربًا:

- "لماذا؟ عادةً ما أركب بجانبك!" نظرت إليه بنظرة غضب جعلته يتراجع ويطيع أمري، لكن ابتسامته لم تفارق محياه. ركوب ريما بجاني كان أمرًا ضروريًا. فهي المشتبه بها الرئيسي، وأيضًا فريسة للكثير من أعداء والدها، لذلك كان ضمان وصولها إلى المحكمة سالمًا هو على عاتقي.

وصلنا إلى المحكمة، ووجدنا محامي ريما ينتظر عند الباب. دخلنا معه بعدما تبادلنا التحية، وجلست في مقاعد الحضور بينما جلست ريما بجانب محامها في الجهة المخصصة للمشتبه بهم، و جلس أعضاء الادعاء العام في الجهة الأخرى، وبعد لحظات دخل القاضي، الذي كان عمَّ حسام، ووقف الجميع احترامًا له.

ثم جاء حسام مبتسمًا من خلفي وقال:

"هل أنت مستعد للمفاجأة؟"

أجبت مبتسمًا:

- "أظن أن مفاجأتك تعجبني، ولكن أتمنى أن لا تبالغ في الأمر."  
تبادلنا الابتسامات حتى بدأ القاضي القاضي بالكلام وصمتنا  
جميعاً معلناً بذلك بدأ المحاكمة ، نعم لقد بدأت محاكمة ربما.

## تغير القدر أخيراً

بدأت محاكمة ريما، وبدأ أعضاء الادعاء العام في عرض حججهم وأدلتهم التي إستندوا إليها في اتهام ريما بارتكاب الجريمة. قال أحد أعضاء الادعاء العام:

- "سيدي القاضي، لقد وجدنا بصمات هذه الفتاة على الجثة، كما أنها كانت الوحيدة المتواجدة في المنزل عندما اكتشفنا جثة أمها. وهذا جعلنا نشك فيها ونعتبرها المشتبه به الأول، خاصة وأن القانون الجنائي يعتبر أن أول شخص يكتشف الجثة هو الأكثر احتمالاً أن يكون مرتكب الجريمة."

حينها تحدث محامي ريما قائلاً:

"سيدي القاضي، نحن لا ننكر ما قاله الادعاء العام، ولكن كما تعلم سيدي القاضي، فإن ريما كانت في المدرسة طوال اليوم، من الصباح حتى المساء. وأنت تعلم سيدي القاضي أن ريما هي أول من اكتشفت الجثة، ولكن عندما اكتشفتها، كان قلب الضحية لا يزال ينبض. أول تصرف قامت به هو الاتصال بالإسعاف ثم الشرطة. عندما اكتشفت الجثة، كان الوقت بين اكتشافها للجثة واتصالها بالإسعاف حوالي خمس دقائق، ومن المستحيل أن يرتكب أي مجرم جريمة في خمس دقائق ثم يتصل بالإسعاف. ولو

كانت هي القاتلة، لكانت قتلها دفعة واحدة. فلماذا كانت الجثة لا تزال تنبض؟"

أضاف المحامي قائلاً:

- "كما أن هناك شهادة شهود تؤكد أن ريما كانت في الجامعة في ذلك اليوم منذ الصباح ومغادرتها عند انتهاء الدوام مع سائقها الخاص وبين وقت دخولها المنزل واتصالها عند اكتشاف الجريمة وقت قصير جدا يستحيل حتى القاتل المحترف قتل ضحية وطعنها بأكثر من خمس طعنات من فعلها فكيف لفتاة أن تفعلها ؟ . إذا سمحت لي سيدي القاضي، أود استدعاء الشهود."

استمرت المحاكمة بين نقاشات وحجج بين هيئة الادعاء ومحامي الدفاع، وكان من الواضح أن الأدلة التي قدمها الادعاء كانت ضعيفة مقارنة بحجج المحامي وأدلة براءتها.

وبذلك، أصدر القاضي حكمه الذي كان كما اتفقنا مع حسام. قرر القاضي أن يتم إطلاق ريما بكفالة مؤقتة إلى حين موعد المحاكمة الثانية النهائية بعد يومين. صدمت بشدة، ونظرت إلى حسام الذي بدوره أرسل لي نظرات تطمئني. بعد ذلك، نظرت إلى المحامي الذي أشار برأسه قليلاً إلى ريما، ثم قال للقاضي:

- "سيدي القاضي، يومين لا تكفيان لإيجاد الدليل القاطع على براءة موكلتي ربما، لذلك أتقدم بطعن في قرار تأجيل المحاكمة وأطلب تمديد فترة التأجيل إلى 30 يوماً. بعد 30 يوماً سيكون الوقت مناسباً لنا لجمع المعلومات الكافية لبراءة ربما، وأيضاً للدعاء العام إذا أرادوا جمع أدلة لإدانتها، التي أنا متأكد أنهم لم يفعلوا شيئاً لجمعها."

عم الصمت للحظات، شعرت وكأن الزمن توقف، وأنا أحاول التماسك. كنت فقط أنظر إلى شفقي القاضي منتظراً حكمه النهائي. رفع القاضي مطرقته قائلاً:

"30 يوماً ستكون فترة طويلة للغاية، ولذلك، قررت أنه في صفة القاضي المسؤول عن هذه القضية، ستم المحاكمة النهائية بعد 15 يوماً، ومن الآن وحتى موعد المحاكمة النهائية، فإن المتهم ستخرج بكفالة مؤقتة."

هنا، شعرت بصدمة جديدة وفتحت عيني من شدة الغضب، و إلتفتُ نحو حسام وقلت له:

- "هذا ليس اتفاقنا!"

أجابني حسام بنبره الجديدة :

- "بصعوبة بالغة، استطعت إقناع عمي بتأجيل المحاكمة. لكن 30 يوماً فترة طويلة جداً، وكان عليه أن يحافظ على منصبه كقاضٍ عادل وألا يشكَّ أحد في قراراته . وحتى الجرائم الكبرى لا يتم تأجيل محاكمتها لمدة شهر، لذا كان من الصعب إقناعه إلا بـ 15 يوماً. لذا، أمامك 15 يوماً، إما أن تحقق مبتغاك أو تترك الأمور كما هي."

حينها، شعرت بموجة غضب جديدة، وتمنيت لو أنني أستطيع إحراق المحكمة وكل ما فيها من شدة غضبي. هذا ما كنت أخشاه. 15 يوماً لن تكفيني للملامسة الحقيقية، لكنني لن أستسلم في تحقيق هدفي.

انتهت المحاكمة، وكانت ربما غارقة في دموع الفرح لأنها ستخرج أخيراً من الزنزانة. خرج المحامي ومعه ريما ورائد، وكان من الواضح أن رائد بدأ يتعرف على ريما، حيث وجدتهم عند باب المحكمة يضحكون معاً قليلاً وكأنها لحظة تعارف بينهما. نظرت إليهم بغضب شديد، كان الغضب بسبب قرار القاضي، لكنني لم أستطع أن أهدأ. توجهت إلى ريما قائلاً:

"تهانين لك يا ابنة كمال بعد خروجك بكفالة لمدة 15 يوماً."

بنظرة جادة قالت لي :

- "أريد التحدث معك الآن."

تعجبت من نظرتها وصوتها، فأجبتها :

- "في كلا الحالتين، سوف أتحدث معك، وستذهبين معي."

حينها أجابتنى بتعجب واضح:

- "إلى أين؟"

فقلت لها :

- "ألا تريدين معرفة من هو الشخص الذي كان سبباً في خروجك

اليوم بكفالة؟ الشخص الذي منحك الحرية لمدة 15 يوماً."

حينها بادلتني بنظرة لم أعرفها من قبل . و رَوْتُ سمعي بكلمات

خرجت من شفتمها ولسانها، وقالت:

- "وهذا بالضبط ما أريد أن أتحدث به معك يا أسر "

ذهبتُ معها إلى إحدى زوايا الحديقة الخلفية للمحكمة، حيث  
ابتعدنا قليلاً عن رائد والمحامي، وأصبحنا وحدنا في ذلك المكان.  
نظرتُ إليها وقلت بنبرة مستفزة:

- "ماذا تريد مني يا فتاة؟ تفضلي، أخبريني بما لديك."

رفعت عينيها عن الأرض ووجهتها نحوي، ثم قالت بلهجة جديفة:

- "أيها القائد آسر، أخبرني بكل شيء الآن. لماذا تحمل كل هذا  
الحقد تجاه والدي؟ وما هو الاتفاق الذي أبرمته مع والدك من  
أجل تبرئتي وخروجي بكفالة؟"

اندهشتُ من كلامها وسألتها:

- "كيف علمتِ بذلك؟"

أجابت بثقة:

"رائد أخبرني أنني خرجت مؤقتاً بفضلك... أو لنقل بفضل اتفاقك  
مع والدك. لكنه رفض إخباري بتفاصيل الاتفاق، وكل ما قاله لي  
هو أنني سأذهب الآن لمقابلة والدك معك. ولكن قبل أن أترك هذا  
المكان، أريد معرفة ما علاقة والدي بوالدك."

قبضتُ على شفتي بغضب، وقلت في نفسي:

- سأحاسبك لاحقًا أيها الأحمق، يا رائد! ثم نظرت إليها بثبات  
وقلت:

"اسمعي يا ريما، صحيح أنك خرجت بكفالة بفضل الاتفاق بيني  
وبين والدي. و هذا الاتفاق يخدم مصالحنا جميعًا—مصالح  
والدي، ومصالحي، وحتى مصلحتك. ولكن فوق هذه الكلمات، لا  
أستطيع قول المزيد الآن. إذا أردت معرفة الحقيقة، فعليك أن  
تأتي معي إلى منزل والدي."

صمتت للحظات وكأنها تفكر، ثم قالت:

"خذني إلى والدك... ولكن لن تركني معه بمفردي. أريد التحدث  
معه بشأن موضوع خاص، موضوع يخص كلينا، وعليك أن تكون  
حاضرًا، لأنه يتعلق بوالدي كمال."

نظرتُ إليها طويلاً، محاولاً فهم اللغة التي تتحدث بها عيناها،  
لكنني لم أستطع. كان في بريقهما شيء جديد... انتقام، وتعطش  
للأخذ بثأرها ممن كان سببًا في معاناتها.

تغيرت ملامحها معي... لماذا؟ لماذا عندما تكون معي تتحدث بحدة،  
وبكراهية مشوبة بالغضب، بينما تكون مع الآخرين لطيفة  
وهادئة؟!

هنا، أدركت أن كلماتي القاسية السابقة، ومعاملتي السيئة لها بسبب الحقد الذي أعماني، جعلتني لا أفرق بين المجرم والبريء... بين والدها وبينها.

تهددت قليلاً، ثم قلت بهدوء:

- "إذًا، اتبعيني. سنذهب إلى منزلي."

لكنها أجابتي بتحدٍ:

- "لن أذهب معك وحدي إلى منزل مجهول. رائد والمحامي سيأتيان معنا."

قبضتُ يدي بغضب وقلت لها:

- "كيف تجرئين على مخاطبتي بهذه الطريقة؟"

فأجابت ببرود:

"أنا لم أخطئ في حقك. لن أذهب معك وحدي، فمن حقي أن أحمي نفسي وأن أختار من يرافقني."

صمتُ لبرهة ثم قلت:

- "حسنًا، خذي من شئت. لا يهمني أمرك. لكن بمجرد لقائك بالوالدي، لن يكون بيننا أي علاقة أخرى."

ابتسمت ابتسامة ساخرة وقالت:

"لنرَ إذا ما سيحدث... ومن سيحتاج من!"

كلماتها كانت غامضة، مشوبة بالغرابة، لكنني لم أعلّق. التزمت الصمت للحظات، ثم قلت ببرود:

- "حسناً، لنرَ. لنذهب الآن."

توجهنا نحو رائد والمحامي، وعندما اقتربنا، قالت ربما لرائد بكل احترام، على عكس أسلوبها معي قبل قليل:

- "من فضلك، أيها القائد رائد، هل تستطيع مرافقتنا إلى منزل هذا المحقق المخبول؟"

نظرتُ إليها بذهول وقلت بحدة:

- "مهلاً، هل ناديّتي بالمحقق المخبول؟!"

لكنها تجاهلتي تماماً وأكملت حديثها مع رائد، بينما كان رائد يحاول كتم ضحكته بصعوبة بسبب الموقف.

وافق رائد على مرافقتنا، وكذلك المحامي. وعندما دخلنا السيارة، أمرتُ رائد بالقيادة ليتمكن من الجلوس بجانب ريماء، بينما جلستُ في الخلف مع المحامي.

حاولت كتم غضبي وقلت في نفسي:

- لا بأس، يا أسر. لحظات فقط، وبعدها لن تراها مجددًا ما دمتَ  
حيًا.

قاد رائد السيارة، وانطلقنا في طريقنا إلى منزل والدي، السيد محمود. عند وصولنا، دخلنا إلى المنزل، بينما طلبتُ من رائد والمحامي الانتظار في قاعة الضيوف. ثم التفتُ إلى رائد وقلت  
محذرًا:

-رائد، لا نريد مشاكل مثل المرة السابقة. الأمر في قبضتك هذه  
المرة، اتفقنا؟"

ضحك رائد وقال، ودموع الضحك تكاد تسيل على وجنتيه:

- "حسنًا، يا رجل! معي المحامي، لذا سأتمالك نفسي عن ضرب أي  
شخص، أعدك بذلك."

ضحك المحامي بدوره وقال:

- "حسنًا، يا رائد. هيا بنا، لنناقش بعض الأمور."

لاحظتُ أنهما يتبادلان نظرات ذات مغزى وكأن بينهما شيئاً لا أعرفه، لكنني تجاهلت الأمر. وعندما نظرتُ إلى ريما، وجدتها تضحك هي الأخرى.

هؤلاء الثلاثة بينهم أمر لا أفهمه... لكن لا يهم.

أشرتُ إلى ريما أن تتبعني. وبمجرد إشارتي، تغيرت ملامحها من السعادة والضحك إلى الجدية والغضب. نظرت إليّ وقالت بحدة: "هيا، إنه منزلك، أليس كذلك؟ هل ستقودني أم تريدني أن أكتشفه وحدي؟"

نظرتُ إليها ببرود وقلت:

"لا يهم، اتبعيني فقط."

صعدتُ إلى غرفة والدي، وقبل أن أفتح الباب، صرخت ريمًا فجأة:

- "أيها المحقق! ألا تعلم أنه من الأدب أن تطرق الباب قبل الدخول وتأخذ الإذن من صاحبه؟!"

حاولتُ السيطرة على أعصابي وألا أدخل في جدال معها ، لأول مرة، طرقتُ باب ذلك العجوز المتعجرف قبل الدخول.

عندما دخلت، توقفتُ للحظة... هذه المرة، لم أجد والدي جالسًا في مكتبه يقرأ مجلته المعتادة، بل وجدته أمام موقد النار، ممسكًا بكوب قهوة، وعيناه تراقبان شرارات اللهب بتمعن...

حينها، كانت ريمًا تقف خلفي، لكنها ألقَت السلام على والدي بكل احترام:

- "السلام عليكم يا عم."

نظرتُ إليها بغرابة، يا عم؟ إنها تتماذى! صحيح أن الإسلام أمرنا بإلقاء السلام، لكن لو عرفت حقيقة أفعال هذا الرجل، لتعوذت بالله من شروره بدلًا من مخاطبته بهذه الطريقة! يا عم!

وضع والدي كوب القهوة على الطاولة أمامه، ثم رفع نظره إلينا وقال بهدوء:

- "وعليكم السلام، يا بنيّتي."

صدمت من إجابته لها فقلتُ ساخرًا:

- "هل هذه مسرحية جديدة يا لك من ممثل بارع!؟"

لكنها صرخت عليّ بغضب:

- "أسر! تأدب!"

كنتُ غيظي بصعوبة، كنتُ أود أن أمسكها وأعجنها كما تُعجن العجينة، لكنني تمالكْتُ نفسي. فجأة، قاطعنا صوت ضحكة خافتة من والدي، وهو يقول بابتسامة ماكرة:

- "إنها المرة الأولى التي أرى فيها شخصًا يتحدث مع ولدي بهذه الطريقة."

أجابته ربما بثقة:

- "عذرًا، يا عم، لكن ولدك يحتاج إلى تربية جديدة."

اشتعل غضبي، وقلتُ لها بصوت متحجرش:

- "التزمي حدودك، وإلا فستندمين!"

لكن قبل أن أكمل، نهض والدي من كرسيه، وجلس في مكتبه كعادته، مستندًا بوقار وثقة. شبك أصابعه أمامه وقال:

"إِذَا، يَا أَسْر، يَبْدُو أَنَّكَ نَفَذْتَ اتَّفَاقَنَا، فَأَحْضَرْتَ لِي ابْنَةَ كِمَالٍ وَبِرَّاتِهَا، لَكِنِّي سَمِعْتُ أَنَّكَ لَمْ تَبْرِّئْهَا تَمَامًا، بَلْ أَخْرَجْتَهَا بِكِفَالَةٍ مُؤَقَّتَةٍ لِمُدَّةِ 15 يَوْمًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟"

أَجَبْتَهُ بِنَبْرَةٍ بَارِدَةٍ، لَمْ تَزْحَجْ عَيْنَايَ عَنْ عَيْنِيهِ:

- "نَعَمْ، قُلْتُ لَكَ أَنِّي سَأَبْرِّئُهَا، لَكِنِّي لَمْ أَقُلْ لَكَ كَيْفَ. وَمِثْلَمَا عَقَدْتُ اتَّفَاقًا مَعَكَ، عَقَدْتُ اتَّفَاقًا آخَرَ، لِذَا لَا تَقْلِقْ، أَنَا عِنْدَ كَلِمَتِي. لَدِي 15 يَوْمًا، وَأُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَمْنَحَنِي كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِكِمَالٍ، وَكُلَّ الْأَدْلَةِ الَّتِي أَحْتَاجُهَا لِلْوَصُولِ إِلَيْهِ. فِي الْمَقَابِلِ، سَتَبْقَى هَذِهِ الْفِتَاةُ مَعَكَ، وَعِنْدَمَا أَجِدُ وَالِدَهَا وَأَكْشِفُ الْمَجْرِمَ الْحَقِيقِي، سَتُبْرِّئُهَا بِالْكَامِلِ."

ضَحِكُ وَالِدِي بِسَخْرِيَّةٍ، ثُمَّ قَالَ:

- "حَسَنًا، سَأَعْطِيكَ مَوْقِعَ كِمَالٍ."

لَكِن قَبْلَ أَنْ يُكْمَلَ، قَاطَعْتُهُ رِيْمًا بِثَبَاتٍ وَثِقَةٍ:

- "أَيُّهَا الْعَم، أُرِيدُ أَنْ أَعْقِدَ مَعَكَ اتَّفَاقًا."

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِصَدْمَةٍ كَبِيرَةٍ:

- "مَاذَا تَفْعَلِينَ؟! الَّذِي أَمَامَكَ لَيْسَ شَخْصًا عَادِيًّا، اصْصَمْتِي حَتَّى تُبْرِّئَنِي تَمَامًا!"

لكنها تجاهلتي وكأنني غير موجود، ثم تابعت حديثها إلى والدي:

"ما الذي تريده مقابل أن تخبرني بمكان والدي؟"

ابتسم والدي ابتسامة خبيثة، وقال:

"لقد اتفقتُ مع ولدي على أن أخبره بمكان كمال ووعدته بتحقيق انتقامه ومعرفة سبب موت والدته. كما أنني أملك أشياء تركتها له والدته، حقائق لم يكن يعرفها أحد وفي المقابل يقوم بإخراجك من السجن وتبرئتك"

رفعت حاجبي ثم قلت بغرابة:

"إِذَا، لماذا تريد التضحية بصديقك من أجل ابنته؟"

أجابني حينها ببرود:

"أنا لا أضحي بصديقي، والدك هو من طلب مني تبرئتك مقابل أشياء اتفقتُ معه عليها وأخذتها بالفعل."

حينها أعدت سؤاله بتعجب:

"وما هدفك الحقيقي من هذا الاتفاق مع أسر؟"

نظر إليّ والده بابتسامة غامضة وقال:

"أسر يريد كمال من أجل انتقامه، وأنا أريد..."

صمت للحظة، فابتسمتُ بسخرية وقلتُ له:

- "أكمل، ماذا تريد؟"

رفع نظره وقال بجفاف:

- "هذا شيء يخصني وحدي."

قهقهتُ وقلتُ له بثقة:

- "أراهن أنك تريد أوراق ملكية الشركة التي سرقها منك أبي،  
أليس كذلك؟"

ساد الصمت بيننا، نظرتُ إلى أسر فوجدته مصدومًا، بينما والده  
اكتفى بابتسامة هادئة وهو يقول:

- "كيف عرفت ذلك، يا فتاة؟"

تقدمتُ خطوة للأمام وقلت :

- "إذا كنتَ تريد الأوراق التي تحدثتُ عنها، بالإضافة إلى أسرار  
نجاح أبي في الأعمال، وكيف استحوذ على الشركات المنافسة له  
، من الأسرار الأخرى، فكلها في يدي أنا، وليست بيد والدي."

التفتَ إليّ أسر بصدمة ، و أمسك بمعصمي بقوة وقال بغضب:

- "اصمتي! ماذا تخططين؟ لماذا لم تذكرني أيًا من هذا في التحقيقات؟"

ابتسمتُ بمكر وقلت:

- "لأنك لم تسألني! أنت لم تسألني عن الأوراق، بل اكتفيتَ بعقد صفقة مع والدك من أجل حريتي المؤقتة. والآن، كما اتبعت رغبتك، سأتبع رغبتني!"

قاطع حديثنا ضحكاتٌ عالية صادرة من والده طبعًا.

نظر إلى أسر وقال:

- "يبدو أن الفتاة التي بين يديك تعلم كل شيء."

نظرتُ إلى والده وقلتُ بنبرة واثقة:

- "أنا لا أعلم طبيعة الاتفاق الذي عقده مع أسر، لكن، يا سيد محمود، ما رأيك أن نعقد اتفاقًا بيننا؟"

رفع حاجبه وسأل:

- "ماذا تريدان؟"

أجبتُه بوضوح:

- "أريد أن يأخذني أسر إلى والدي، وفي المقابل، سأعطيك مفتاح الخزانة التي تحتوي على كل ما تبحث عنه... الأوراق، الأسرار، وكل شيء."

ساد الصمت للحظات، ثم قال والده مخاطباً أسر ببطء:

- "أسر، أنت تريد كمال، وأنا أريد الأوراق، وهذه الفتاة تريد رؤية والدها، إذًا من اليوم، ستكون هذه الفتاة رفيقتك في رحلتك إلى كمال، مقابل أن تعطيني الأوراق التي أريدها."

التفتُ إلى أسر، فوجدته مندهشاً، الغضب والتردد والدهشة تتلاعب بملامحه. لكنه قال بحزم:

- "هذا مستحيل! لن آخذ هذه المجنونة معي، ولو كان ذلك على جثتي!"

تحولت ملامح والده إلى الصرامة، وقال بحدة:

- "أنا لا أستشيرك، أنا أمرك، إما أن تقبل، أو سترى شيئاً لن يعجبك."

نظرتُ إلى أسر وقلت بابتسامة واثقة:

- "إدًا، يا قائد أسر، من اليوم، أنا تحت حمايتك، ورفيقتك في رحلتك إلى عدوك... وعدوي. هيا بنا لنحضر أنفسنا لمقابلة السيد كمال! . فلتستعدَّ جيدا فلقد تغير القدر أخيرا ..

## لقد وجدته إنه هناك !

انتهى ذلك الاتفاق الثلاثي بيني وبين أسر ووالده، بقرار يجمع  
مصلحتنا جميعاً.

أخرج والد أسر من جيبه شريحة صغيرة، ووضعها على طاولة  
مكتبه، ثم قال لي بنبرة هادئة ولكن حازمة:

- "تقدّمي، يا ريما."

شعرتُ بالدهشة للحظة... يبدو أنه يعرف اسمي جيداً. لا غرابة  
في ذلك، إن كان يعرف منزلي وحياتي كلها، فهو ليس رجلاً عادياً.

مددتُ يدي لأخذ الشريحة، لكن فجأة، أمسك أسر معصبي  
بقوة. نظرتُ إلى عينيه، لأجد فيها نظرة حادة أمرّة، ثم قال بصوت  
منخفض لكنه حاد:

- "توقفي مكانك، أنا من سأأخذ الشريحة."

للحظة، اقمشعر جسدي من نبرته، من قوة قبضته، من تلك  
النظرة التي تخترقني كأنها تحذرني من شيء لا أفهمه... وبدون  
إدراك، نفذتُ أمره وتراجعتُ، تاركةً إياه يتقدم نحو مكتب والده.

أمسك بالشريحة، ثم رفع عينيه إلى والده قائلاً بصوت ثابت  
ومسموع:

- "والله، يا سيد محمود، لو اكتشفتُ أن هذه مجرد حيلة، أو  
شعرتُ بأدنى رائحة لوجودك خلف هذه الأحداث... فأقسم لك،  
قبل أن تُكلمك ريماء، سأكون أنا من يقتلك أولاً. فادعُ الله أن لا  
يكون لك أي علاقة بالأمر."

ابتسم والده بسخرية، ثم التفتَ إليّ وقال بنبرة ساخرة:

- "أرأيتِ يا ريماء؟ هل هكذا يتحدث الابن مع والده!"

لم أنطق بحرف واحد... كان الجو مشحوناً، وكلمات أسر حملت  
من الجدبية ما جعلني أدرك أنه يعني كل حرف قاله.

انتظرتُ حتى أنهى حديثه، ثم خرجنا من الغرفة.

بمجرد أن أغلق الباب خلفنا، شعرتُ بدفعة قوية جعلتني أرطم  
بالجدار. لم أستطع استيعاب ما حدث إلا عندما وجدتُ نفسي  
محاصرة بين يديه، والمسافة بيننا بالكاد تُذكر.

كانت نظراته مرعبة... غاضبة... وكأنه في أي لحظة قد يقتلني.

قال من بين أسنانه، وصوته ينضح بالغضب المكبوت:

- "لماذا لم تخبريني منذ البداية بحيلتك، أيتها الخبيثة؟! ظننتك مختلفة، لكنك كنت تستغليني من أجل مصالحك، تمامًا كما يفعل والدك بالناس "

ابتسمت بسخرية، ورفعت رأسي قليلاً ونظرت مباشرة إلى عينيه متحدياً:

- "لم يعجبك الأمر، صحيح يا أسر؟"

رأيت كيف شدّ على فكيه غضباً، لكنني تابعتُ بثبات:

- "كنت ستفعل الشيء نفسه! كنت تستغلني للوصول إلى والدي ومحاسبته وحدك على أفعاله، بينما أنا لا أعلم حتى إن كنت سأخرج براءة أم لا. وحتى لو خرجت براءة كما وعدتني، فلن أتمكن من الانتقام لما جرى لي... بسبب أنانيتك في انتقامك!" ارتفعت وتيرة أنفاسه، لكنني أكملتُ بصوت واثق:

"أنت تريد والدي... وأنا أيضاً أريده. لم تستشرنني عندما عقدت اتفاقك مع والدك، واستغللتني كما يحلو لك. لذا، أنا أيضاً لن أستشيرك! ولكن الفرق بيننا أنك عقدت اتفاقك في السر، أما أنا... ففعدته وأنت أمامي، تسمع كل كلمة قلتها، وترى كل شيء بعينيك!"

توقفتُ للحظة، ثم همستُ بخبث:

"أنت استغللتني ببشاعة وخلف ظهري أبرمت اتفاقك وقلت  
كلماتك ، بينما أنا

استغللتك وأنت موجود معي وبكامل وعيك وكل كلمة قلتها  
قد سمعتها. هنا يكمن الفرق بيننا يا أسر"

بعد كلماتي، هداً أسر قليلاً، ثم تركني بعدما كان يحاصرني. مرّ من جانبي وكأنني غير موجودة، وأخذ ينزل الدرج، لكن قبل أن يخطو الخطوة الأخيرة، قال لي دون أن يلتفت:

- "تجهّزي، بمجرد أن أعرف محتوى هذه الشريحة وما فيها، ستدهين معي. لكن صدّقيني، إذا تعرّضت للقتل أو أي خطر، فلن أحملك. أنت تريدين مصالحك، وأنا أيضاً. لذا، ستكون حماية نفسك على عاتقك وحدك."

ثم نزل السلالم. بقيتُ في مكاني أفكر في كلماته، وما لبثتُ إلا لحظات حتى تبعته. عندما نزلنا، كان يسير أمامي، ولم يُعر أي اهتمام للمحامي أو لرائد، الذي ما إن رأيته حتى ظهر القلق على ملامحه.

- "ماذا حدث في الغرفة؟ لماذا يبدو أسر بهذا الغضب؟" سألتني رائد بقلق.

أجبتُه بسرعة:

"لنخرج أولاً، وسأخبرك بكل شيء."

ما إن خرجنا، أخبرته بكل ما حدث. كان أسر يقف بجانب السيارة، منتظراً، ويبدو أنه يريد القيادة بنفسه. نظرتُ إلى رائد وسألته:

- "هل يمكنك الجلوس مكاني؟ سأجلس مع المحامي."

لكن رائد رفض بحزم:

- "لا، ابقِي في مكانك. لا تُظهري له أنك تأثرت بكلماته وضعفت أمامه. رغم عصبيته الدائمة، إلا أن قلبه حنون، فلا تزيد الأمور تعقيداً. اجلسي، وكل شيء سيكون على ما يرام. وحتى لو تركتُ لك مكاني، فالمحامي لن يسمح لك بالجلوس في الخلف بجانبه، وهذا سيُجبرك على الجلوس قرب أسر في المقدمة. وهناك مسافة معتبرة بين المقاعد الأمامية، عكس المقاعد الخلفية حيث التقارب واضح."

هممتُ موافقةً، ثم دخلنا السيارة. جلستُ في مقعدي بجانب أسر، بينما جلس رائد والمحامي في الخلف.

التفتُ إليّ أسر فجأة وسأل ببرود:

- "إذن، أين تريدان الذهاب الليلة؟ يبدو أن زنازة المركز لا تريد استقبالك."

كتمتُ غضبي بصعوبة، وأجبتُه بجفاف:

- "خذني إلى منزل جدي، حيث خالتي وابنة خالتي. سأبيت عندهم

الليلة، وبقيّة الأيام حتى تجد في الشريحة مكان والدي."

لم يعترض، واكتفى بالنظر إليّ بنظرة غامضة قبل أن ينطلق.

عندما وصلنا إلى منزل جدي، نزل معي وتقدّم ليطلق الباب بدلاً

مني. رغم غضبه الدائم مني، إلا أنه لم يتركني وحدي، بل أصرّ

على التأكيد من أنني دخلتُ بأمان.

فتحت لميس، ابنة خالتي، وما إن رأيتها حتى ارتميتُ في حضنها،

وانفجرنا في البكاء. كان عناقها دافئًا، يشبه عناق أمي، ذلك

الدفء الذي افتقدته طويلاً.

لكن لحظات السعادة لم تدم طويلاً...

فجأة، ظهر جدي، وما إن رأني حتى تجاهل وجودي تمامًا، واتجه

مباشرةً نحو أسر وسأله بحدة:

- "ما الذي تفعله هذه الفتاة هنا؟"

أجابه أسر بثبات:

- "ربما بريئة من جريمة قتل ابنتكم، وقد خرجت بكفالة. لا يوجد منزل آخر يستقبلها غير منزلكم. أنت جدّها، والاعتناء بها من واجبك."

لكن جدي انفجر غضبًا:

- "لا أريد هذه الفتاة هنا! هي السبب في مقتل ابنتي! كنت سأطلقُ ابنتي من ذلك الرجل، لكنها رفضت بسبب ابنتها هذه، لم تكن تريدها أن تُرمى في الشوارع فهي تعلم أن والدها لن يهتم بها. أنا منذ البداية أردتُ ابنتي فقط، وأردتُ أن تبقى الطفلة مع والدها، لكنها أصرت على الاحتفاظ بها... وبسببها، بقيت في ذلك المنزل المشؤوم وقتلت بأبشع الطرق! الآن، لا يوجد سبب يجعلني أتبتى هذه الفتاة أو أدخلها إلى منزلي! وإذا أحضرتها مرة أخرى، فستجد جثتي بدلًا من جثة ابنتي!"

كانت كلماته صادمةً و قاسية، وكأنها طعنة في القلب. قبل أن أستوعب صدمتي، جاءت خالتي، ويبدو أنها سمعت كل شيء. نظرتُ إليّ ثم إلتفتت إلى لميس وصرخت بغضب:

- "ابتعدي عنها، يا لميس! حالًا!"

تراجعت لميس بخطوات مترددة، ورأسها منخفض بخضوع، بينما قالت خالتي لأسر بحدة:

- "ليس لدينا مكان لهذه الفتاة! خذها إلى منزل والدها، فقد  
ينفعها! أختي ماتت، ووالدها مختفٍ، وإن كان والداها نفسيهما  
لا يريدانها، فهل تتوقع أن نستقبلها نحن؟! هل جننت؟!"

حينها، تقدمت لميس بخطوات ثابتة وقالت بثقة:

- "أمي، إنها ابنة أختك، والآن خرجت من السجن، ولو كانت  
مُذنبه لما تركها القانون! لا تجعلي قسوتك تعميك عن الحقيقة،  
هذه الفتاة مسؤوليتنا، وعلينا أن نفعل شيئاً."

لكن خالتي صرخت في وجهها وأمرتها بالدخول فوراً، مُهددةً إياها  
بعقاب شديد.

وقفتُ هناك، عاجزةً عن الكلام. شعرتُ بصدمةٍ تفوق قدرتي  
على الاحتمال... لقد تعرّضتُ للذل أمام أكثر شخص أكرهه...  
أمام أسر!

- هل كان يجب أن أعيش هذه التجربة المهينة؟!

أنزلتُ رأسي، وقلتُ بصوت مكسور:

- "هيا بنا، يا قائد. يبدو أنني أخطأتُ في العائلة... فأنا ليس لدي  
عائلة."

لكن أسر أوقفني بيده، ثم التفّت إلى جدي وقال بصوت قوي:

- "أنت تتبرأ من حفيدتك من أجل أوهام؟! تريد أن تلقي عليها اللوم بالكامل في موت ابنتك؟! هل أنت حقًا مجنون؟! نعم، أنت عجوز خَرَف، لكن لم أكن أعلم أنك بهذا الغباء! هذه الفتاة التي طردتها اليوم، ستتوسّل لها غدًا كي تسامحك... ولن تستطيع!"

شعرتُ بالذهول، بل سُلتُ حركتي تمامًا من وقع كلماته. ما هذا الرجل؟! تارةً يهمني، تارةً يهددني، والآن... يدافع عني؟!

نظرتُ إلى ملامح جدي، فوجدته متجمدًا في مكانه، يتصبب عرقًا. أما خالتي، فقد أنزلت رأسها وأمسكت بيد لميس، ثم دخلت المنزل دون أن تنطق بكلمة.

شعرتُ بيد أسر تمسك بذراعي مجدّدًا، وهو يسحبني بعيدًا عن المنزل. أوقفته وانتزعتُ يدي منه، ثم سألته بحدة:

- "ما بالك؟!"

نظر إليّ ببرود وقال:

- "يجب عليك أن تشكريني، لأنني أنقذتك من موقف الذل. والآن تسأليني ما بي؟"

نظرتُ إليه باستغراب، ثم قلتُ بسخرية:

- "شكرًا... لكن لم أتوقع منك أن تدافع عني. هل هذا بدافع الشفقة؟"

صمت للحظة، ثم قال بصوت خافت:

- "دعينا من هذا الكلام الفارغ. الآن، أين ستبيتين؟ هل أعيذك إلى منزلِك؟"

صرختُ فجأة، مما جعله ينتفض للحظة:

- "لا! لا تأخذني إلى ذلك المنزل! لا تذكر اسمه حتى أمامي! يستحيل أن أبيت هناك!"

أنزل رأسه وصمت للحظات، ثم قال لي:

- "إذن، ماذا أفعل؟ هل أستأجر لك شقة في فندق؟ لكنك تعلمين أن سمعة الفتاة في بلادنا أهم من أي شيء، وقبل كل هذا، أنتِ الآن فريسة لأعدائي، وأعداء والدك. لا يمكن ترككِ وحدك.

حينها جاء رائد مسرعًا نحونا، وعلامات القلق بادية عليه. "ما بالكم تأخرتم كل هذه المدة؟" ثم نظر إليّ وقال:

- "وأنتِ، ربما، لماذا لا تدخلين إلى بيت جدك؟"

أنزلت رأسي بصمت، غير قادرة على الرد، بينما أسر أعاد عليه تفاصيل ما حدث، وكأنه يذكرني بالألم الذي تعرضت له للتو.

تمهد رائد وقال:

- "حسنًا، لا يمكننا ترك ريمًا في فندق وحدها، ولا تريد المبيت في منزل والدها، وبيت جدها يرفضها... أولئك الأوغاد المتحجرون."  
ثم إلتفت إلى أسر وأضاف:

- "لدي حل، لماذا لا تأخذها إلى شقتنا؟ سأحضر أختي الكبرى لتبيت معها في الغرفة، وأنت ستبيت معي في الغرفة الأخرى. هكذا تكون في أمان، وتجد من يؤنسها، ونحن نحميها معًا."  
نظرت إليه بصدمة ورددت فورًا:

- "مستحيل! لن أقبل المبيت مع رجلين لا أعرفهما!"  
رفع أسر حاجبه بسخرية وقال:

- "هل لديك مكان آخر تذهبين إليه؟ ثم، عمّ تخافين بالضبط؟  
على أي حال، لا تقلقي، فأنت لست من ذوق المفضل أصلاً."  
كتمت غضبي، لكنني نظرت إليه بحدة وقلت:

- "يا لك من متعجرف! كنت أظنك قائدًا مخبولًا، لكنك مغرورٌ  
أيضًا!"

كاد الجدال يحتد أكثر، لولا أن رائد تدخل سريعًا، يفصل بيننا  
بيديه وهو يقول بحزم:

توقفوا! لسنا في وقت المشاجرات الآن!"

ثم التفت إليّ وقال بصوت هادئ:

- "ريما، سأحضر أختي لتكون معك، وأعدك أنك ستكونين بأمان.  
الخير الذي أريده لأختي أريده لك أيضًا. لن تبتي وحدك، ولن  
تكوني في خطر. إنها مجرد أيام حتى نجد والدك من خلال  
الشريحة الإلكترونية، وبعدها ستنكشف الحقيقة ويظهر  
المجرم من البريء، وحينها يعود كل شخص لحياته الطبيعية.  
فقط تحلي بالصبر."

كانت كلماته تحمل نوعًا من الراحة، رغم أنني كنت متوترة من  
الموقف. ورغم صداقته الطويلة مع أسر، كان لكلٍ منهما  
شخصية مختلفة تمامًا.

ثم قال أسر بنبرة باردة، والغضب ما زال ظاهرًا في ملامحه:

- "حسنًا، يا رائد، لا تضيع الوقت. أوصِل المحامي إلى منزله أولاً، ثم نذهب إلى منزلك لنحضر أختك. تجلس هي مع ريماء في الخلف، وأنت تجلس بجانبني من الأمام، وهكذا نختصر الوقت."

أوماً رائد بالموافقة وقال:

- "فكرة جيدة، هيا بنا."

ركبت السيارة وأنا أشعر بالتردد والخوف مما ينتظرني، لكن الشيء الوحيد الذي كنت متأكدة منه هو أن الحقيقة لا بد أن تظهر في النهاية، وأنه بعد كل عسر، لا بد أن يأتي اليسر.

قمنا بإيصال المحامي إلى منزله، ثم انطلقنا نحو منزل رائد. وعندما وصلنا إليه، نزل رائد من السيارة وأخبر أسر بأنه سيأخذ دقائق معدودة قبل أن يعود. عندما نزل رائد، تركني فقط مع أسر في السيارة، وساد الصمت بيننا. كنت أنظر إليه من زاوية عيني بينما كان هو يتصفح هاتفه. وفي النهاية، كسرت الصمت بعدما جمعت شتات نفسي وقلت له: "شكرًا لك."

لاحظت أنه توقف عن التصفح، ورفع رأسه لينظر إلي وقال:

- "هل أذني تسمعان جيدًا؟ هل قلبك شكرًا للتو؟"

أنزلت رأسي، و مشاعر الخجل تغمرني، وقلت له:

- "لن أكرر كلامي."

ابتسم أسر ابتسامة جانبية ثم قال:

- "هذه أول مرة تشكريني فيها. حسناً، العفو. ولكن على ماذا؟"

أخبرته:

- "منذ قليل، دافعت عني أمام جدي. وكانت تلك أول مرة يدافع

فيها شخص عني، لهذا أردت أن أشكرك فقط."

عاد الصمت ليخيم بيننا مجددًا، كل منا ينظر عبر زجاج السيارة، غارقًا في أفكاره الخاصة. ثم قال أسر وهو ينظر عبر شاشة السيارة: "ريما، استعدي. غدًا سأستعين بمجموعة من أصدقائي المتخصصين في تحليل الشفرات الإلكترونية والشرائح الرقمية. سنتمكن من تحليل محتوى هذه الشريحة. أشك كثيرًا أنه بعد غد، سنعرف مكان والدك وننطلق في رحلتنا إليه. لكن لدينا 15 يومًا فقط. اليوم مضى، وغدًا سيذهب أيضًا بسبب تحليل الشريحة. وبعدها، سننطلق في البحث، وفي 13 يومًا فقط سنكون أمام آخر فرصة لتبرئتك."

ثم أضاف بنبرة جادة:

-أريدك أن تكوني حريصةً جدًّا. لا تظني أن عمل الشرطة والتحقيقات كما في الأفلام والمسلسلات. هذا عالم خطير. لهذا السبب، أريدك أن ترافقيني أينما أذهب. أنت أمانة الله إليّ، وسأوفي بوعدي وأبرئك من هذه الجريمة في غضون 13 يومًا."

بعد أن قال أسر تلك الكلمات، بدأت أتأمل فيه. كان ينظر عبر زجاج نافذة السيارة، وأنا أراقب وجهه، ذلك الوجه الذي لم أستطع أن أتوقف عن التحديق فيه للحظات. بشرته السمراء، عينيه الساحرتين، وشعره الأسود الذي يزيد جمالا وهيبته التي توحى بهيبته وقساوته. كان يبدو في معظم الأحيان شخصًا شديد الصرامة، لكن أحيانًا كانت مواقفه تثبت شهامته ورجولته.

أسر محترف في التلاعب بالكلمات، وكلماته أثرت فيّ بشكل لا يمكنني تفسيره. شعرت بشيء غير مفسر ينبض في صدري. ما الذي يحدث لي؟ حاولت أن أستغفر الله في نفسي، وأنا أحاول أن أنسى الموقف الذي حدث. فتحتُ عيناى بعيدًا عن وجهه، وأشحت بنظري مجددًا نحو نافذة السيارة، محاولةً التركيز على منظر منزلي رائد، في انتظار خروجه برفقة أخته بفاغ الصبر.

في تلك اللحظات، خرج رائد من منزله يحمل حقيبة يبدو أنها لأخته، ومعه فتاة بدت من ملامحها أكبر من رائد قليلًا. كانت فتاة جميلة، ترتدي عباءة سوداء ووشاحًا أسودًا يغطي شعر رأسها،

وتحمل حقيبة صغيرة بدا أنها تحتوي على حاجياتها. تقدمت إلى السيارة ثم نزلت أنا من السيارة لكي أسلم على الفتاة، وعلى ما يبدو، كان اسمها منى. كانت فتاة مؤدبة ولطيفة جدًا.

قام رائد بوضع الحقيبة في الصندوق الخلفي للسيارة، ثم ركبنا جميعاً؛ أنا ومنى في المقاعد الخلفية، بينما بقي أسر جالساً في المقعد الأمامي أمام مقود السيارة ورائد بجانبه. قام أسر بتشغيل السيارة بتدور المفتاح معلنا ذلك عن بداية إنطلاقنا في الطريق، وما هي إلا دقائق معدودة، حوالي ربع ساعة تقريباً، حتى وصلنا إلى شقة جميلة جداً، تبدو فاخره بحديقة خلفية وتصميم خارجي راقٍ للغاية.

نزل أسر ورائد من السيارة بعد أن قام بإدخالها إلى المرآب الخاص بالسيارات. ثم فتح رائد باب الشقة وقال لنا:

- "تفضلوا."

دُفِئْتُ أنا ومنى إلى داخل الشقة، حيث كانت أجواء المكان غريبة بالنسبة لي، وشعرت بالخجل أكثر منها، فهي كانت تتمسك بأحيا رائد وتوجه له الكثير من الأسئلة عن مكان الغرفة، إلى متى ستبقى، وما إلى ذلك. بينما أنا كنت صامتة تماماً، خجولة جداً،

غير قادرة على تقبل فكرة أنني سأبيت مع رجلين لا أعرفهما، حتى وإن كانت معي أخت أحدهما.

في تلك اللحظة، كسر أسر سكوتي وقال:

"ريما، أخت رائد ستنام معك في غرفتي. أما أنا ورائد فسنكون في غرفته." أومأت بالموافقة بصمت، ثم أمسكت مني بيدي وقالت:

- "إلى الغرفة يا ريما."

كانت الشقة تحتوي على غرفتين للنوم ؛ واحدة لرائد والثانية تخص أسر، وأخرى مخصصة للضيوف .

غرفة أسر كانت غريبة بعض الشيء، تحتوي على سرير وخزانة ومكتب مملوء بالكتب. كان تصميم الغرفة كلاسيكيًا إلى حد ما، دون ملصقات على الجدران أو أي شيء يعكس طابع الرجل المعتاد مثل شعارات الفرق الرياضية أو ألعاب الفيديو. كانت الغرفة بسيطة ونظيفة، واللون الرمادي يغلب عليها. كما كان هناك حمام صغير داخل الغرفة.

تقدمت مني نحوي وقالت:

- "خُذِي يا ريمما هذه الملابس. أمي أعطتها لي لتلبسها، إنها ملابس نوم مريحة، تستطيعين الاستحمام وارتداءها لكي تشعري بالراحة."

بينما كانت تتحدث، كانت عينها مليئة بالصدق والقلق، رغم أننا لم نكن قد إلتقيننا من قبل. لكنها كانت حريصة جدًا على راحتي، وكأنها تعتبرني جزءًا من عائلتها.

شعرت بشيء غريب في داخلي، وكانت عينيّ تملؤهما الدموع. تذكرت أمي، كيف كانت دائمًا تهتم لراحتي، وتطبخ لي، وتسال عن حالتي. شعرت بنوع من الحنين، بينما كانت منى تقف بجانبني، وقالت لي بابتسامة:

- "لا تقلقي، سأعتبرك أختي. رائد أخبرني بكل شيء، وأنا هنا من أجلك."

بادلتها العناق وشكرتها على لطفها واهتمامها، ثم دخلت إلى الحمام للإستحمام، بينما هي ذهبت إلى رائد لكي تطلب وسادة وغطاء إضافي، لأننا سننام أنا وهي على سرير أسر الكبير فقد كان يكفي كلينا ، وكل ما نحتاجه هو غطاء ووسادة أخرى.

بعد خروجي من الحمام، أخذت أجفف شعري بالمجفف الذي أعطتني إياه منى، فقد أحضرته معها تحسبًا لمثل هذه المواقف. رفعت نظري لأجدها مستلقية على السرير، متغطية بغطائها، تمسك هاتفها وتشاهد برنامجًا لم أكن أعرف اسمه. تقدمت نحوها، فانتبهت لي قائلة:

"آه، لقد انتبهت من الاستحمام، ربما. نعيمًا لك."

ابتسمت لها شاكرة وجلست بجانبها على السرير، نظري يتجه نحو شاشة هاتفها. لاحظت نظراتي فقالت بحماس:

"هل تريدان مشاهدة؟ إنه برنامج رائع، يستضيف أشخاصًا يروون تجاربهم في الحياة وكيف تغلبوا على الصعوبات حتى حققوا النجاح في مجالاتهم."

ضحكت قليلًا وقلت بمزاح:

"إدًا يجب أن أكون ضيفة شرف في هذا البرنامج!"

لكن صمتها المفاجئ جعلني ألتفت إليها، فوجدتها تحدق بي بنظرة مشفقة. عبست قليلًا وقلت:

"هيه، منى! كنت أمزح فقط."

أنزلت رأسها بابتسامة حزينة وهمست:

- "حسنًا... هل ننام أم أنكِ تحتاجين لشيء آخر؟"

هزرت رأسي وقلت بصوت خافت:

- "لا بأس، أنا متعبة قليلاً."

استلقيت في مكاني ولففت نفسي بالغطاء. كان السرير مريحًا جدًا، وشعرت بالدفء الذي افتقدته منذ زمن. وسادة ناعمة، غطاء دافئ، وأجواء هادئة... اشتقت إلى هذه اللحظات. ابتسمت بخفوت وهمست:

- "تصبحين على خير، منى."

أجابتنى بدفء:

- "وأنتِ بخير، ربما. لكن... إن احتجيتِ إلى شيء، لا تترددي في إيقاظي."

أغمضت عيني، لكن النوم أبى أن يزورني. كانت الأفكار تتلاطم في رأسي، وخاصة تلك التي تعلقت بأسر وكلماته في السيارة. للحظة، خفت أنني قد... أعجبت به؟ لكنني سرعان ما نفيت الفكرة.

"لا بأس، ربما. لقد كنتِ ضعيفة في تلك اللحظة، وهو فقط قال بعض الكلمات اللطيفة لا أكثر... هذا طبيعي أن يقول أنكِ أمانة

الله له ، فهو مكلف بحمايتك فقط إلى حين إحضار الأوراق  
لوالده.ليس إلا!"

تنفست بعمق محاولاً طرد هذه الأفكار، لكن الصداع لم يتركني.  
نظرت إلى الساعة، كانت الواحدة بعد منتصف الليل. نظرت إلى  
منى، فوجدتها تغط في نوم عميق. قررت الذهاب إلى المطبخ  
لشرب بعض الماء وأخذ مسكن للصداع، علّه يساعدني على  
النوم.

ارتديت النعال الذي أحضرته لي منى سابقا ، وأخرجت رأسي من  
الغرفة بحذر. إلتفتُ يمينًا ويسارًا لأتأكد من عدم وجود أحد في  
الجوار ، لكن لم يكن هناك أثر لرائد أو أسر. بدأت أسير في  
الشقة محاولاً تذكر مكان المطبخ حتى لمحت ضوءًا خافتًا.  
تقدمت نحوه، فتأكدت أنه قادم من المطبخ، فتنفست براحة  
وقلت في نفسي:

"رائع! سأشرب الماء وأخذ الدواء سريعًا قبل أن يراني أحدهم."

دخلت إلى المطبخ، فتحت الثلاجة وأخرجت زجاجة الماء، ثم  
بحثت بين الأدوية عن مسكن للصداع حتى وجدته أخيرًا. وضعته  
على طاولة الطعام، ثم بدأت أبحث عن كوب لأسكب فيه الماء. ما

إن وجدته وملاّته حتى أمسكت بالدواء، لكن قبل أن أضعه في في، قاطعني صوت خلفي:

"-ماذا تفعلين الآن؟ ألم تنامي بعد؟"

شهقت قليلاً وإلتفتت بسرعة لأجد أسر يقف عند باب المطبخ. كان مختلفاً تماماً... لأول مرة أراه بملابس المنزل؛ بنطال أسود فضفاض وقميص رمادي مريح. بدا مختلفاً عن مظهره المعتاد الرسي والجدي. شعرت برغبة في الضحك، لكنني تماسكت بسرعة وقلت:

"أه، أسفة إن كنتُ قد أزعجتك، كنت فقط أريد شرب الماء."

رفع حاجبه قليلاً ونظر إلى الطاولة قبل أن يقول بنبرة ساخرة:

"-شرب الماء... أم التخلص من الصداع؟"

اتسعت عيناي قليلاً وقلت بدهشة:

"-كيف عرفت؟"

تنهد وأجاب:

"-هل أنت غبية أم تتغابين؟ ماذا تفعل أقراص الصداع أمام

كأس الماء تحديداً؟"

شعرت بالإحراج، وخفضت رأسي قائلة بصوت خافت:

- "لم أقصد خداعك... كنت فقط سأشربه وأعود للنوم، آسفة."

تناولت قرص الدواء بسرعة وشربت الماء، ثم استدرت متجهة للخروج، لكن صوته أوقفني مجددًا:

- "أنا آسف..."

تجمدت في مكاني والتفت إليه ببطء، نظرت إلى ملامحه لأجد أنه يحك فروة رأسه بارتباك واضح، وكأن كلماته خرجت منه دون تخطيط. تابع بصوت منخفض:

"أقصد... عندما كنا في منزل والدي، أمام غرفته... عندما خرجنا وقمت بمحاصرته عند الحائط وقلت كلمات قاسية... لم أقصد ذلك. كنت غاضبًا فقط."

اتسعت عيناى قليلاً، وشعرت بأن وجهي يحترق. تلك اللحظة... كيف يمكنني نسيانها؟ لم أكن أتوقع أن يعتذر، بل لم أكن أظن أنه يملك هذه الجرأة ليعترف بذلك. شعرت بشيء غريب في صدري... نبضات قلبي تسارعت دون سبب واضح.

- "لا بأس... قبلت اعتذارك."

قلت ذلك بسرعة قبل أن يفقدني الإحراج سيطرتي على لساني،  
ثم استدرت وخرجت مسرعة عائدة إلى الغرفة.

ما إن دخلت حتى وجدت منى نائمة بعمق، فأغلقت الباب بهدوء،  
ثم ألقيت نفسي على السرير، غطيت وجهي بالوسادة في محاولةٍ  
لتهديئة نبضاتي.

"تبا...! لماذا كلما حاولت كرهه، يفعل شيئاً يجعلني أنسى  
السبب؟ متى ينتهي هذا العذاب؟"

في صباح اليوم التالي، استيقظت فوجدت نفسي وحيدة في الغرفة، ولم تكن منى بجانبني. نظرت إلى الساعة المعلقة على جدار غرفة آسر، فوجدتها تشير إلى العاشرة صباحًا. يبدو أنني استغرقت وقتًا طويلًا في النوم لدرجة أنني لم ألاحظ نهوض منى ولا حتى أذان الفجر.

نهضتُ، ثم دخلتُ الحمام لأغتسل وأتوضأ وأصلي. بعد انتهائي، فتحتُ باب الغرفة وأخرجت رأسي، ونظرت يمنا ويسرة لأرى إن كان أحدٌ موجودًا، لكن الشقة بدت هادئة جدًا. خرجت متجهة نحو المطبخ، فوجدت منى تضع السماعات في أذنيها وهي تسكب العصير في كأس كانت تمسكه بيدها.

قلت لها بهدوء التمسستهُ شفتاي لكي لا أفاجئها:

- "صباح الخير"، لكنها لم تسمعني. تقدمت نحوها وأشرت بيدي أمام عينيها، فانتبهت لي أخيرًا، ونزعت السماعات قائلة:

- "صباح الخير، ربما! هل نمت جيدًا؟"

أجبتها:

- "صباح النور"، ثم أومأت لها بالإيجاب. حينها، قالت لي:

- "أخي وصديقه أسر خرجا منذ مدة طويلة، ولهذا، أنا وأنتِ وحدنا الآن . لقد أمرني أخي بالأ نخرج من هنا ، ولهذا سنقضي اليوم في الشقة. إذا احتجتِ إلى أي شيء، أخبريني. الفطور جاهز، يمكنك شرب القهوة أو الحليب مع البسكويت، أو إن كنتِ تفضلين العصير، ففضلي، إنه عصير رائع بالمناسبة!"

ابتسمت على طريقتها في الكلام، خاصة عندما أثنت على العصير الذي ستشربه، ثم هممت لها بالموافقة وقلت:

- "شكرًا لك."

تناولتُ فطوري، ثم بدأت أتجول في الشقة. كانت راقية وصغيرة نوعًا ما، تحتوي على غرفتين، وفي كل غرفة يوجد حمام. إضافة إلى ذلك، كانت هناك قاعة جلوس أو كما نسميها "الصالة". جلست أمام التلفاز وأخذت أشاهد بعض البرامج، بينما كانت منى تواصل ما كانت تفعله، تشرب العصير وتضع السماعات.

أتذكر جيدًا أن ذلك اليوم كان ثقيلًا جدًا بالنسبة لي، خاصة أنه لم تكن هناك وسيلة تسليني سوى التلفاز، بينما منى كانت تمتلك هاتفها، تتحدث مع والدتها أحيانًا، وأحيانًا أخرى تتلقى اتصالات من أخيها ليطمئن علينا. أما أنا، فكنت أشعر بممل شديد.

لذا، توجهت إلى صلاة الضيوف، أخرجت مصحفًا، وأعدت وضوئي، ثم لبست ثوب الصلاة ووضعت وشاحًا على رأسي، وأخذت أقرأ بعض الآيات، لعل هذا الثقل الذي في قلبي يزاح قليلاً بقراءة كلام الله عز وجل.

مرّ اليوم بطوله، تارةً أتحدث مع منى، وتارةً أخرى أقرأ القرآن. تناولنا الغداء بعد أن قامت منى بطهي أكلة شهيرة لدينا تُسمى "الكبسة". ساعدتها في الطبخ قليلاً، ثم بعد الغداء قمنا بتنظيف المطبخ وغسل الصحون، وهكذا انقضى اليوم حتى حلّ المساء.

عند الساعة الثامنة مساءً، سمعنا صوت مفتاح يدور في القفل، دليلاً على أن أحدًا يفتح الباب. نظرت إلى منى، فبادلتني النظرات، ثم قلنا في الوقت نفسه:

- "لقد عادوا!"

أسرعت منى نحو الباب لتستقبل أخاها، وبالفعل، كما توقعنا، عاد رائد وآسر. استقبل رائد أخته وألقى عليها السلام وتفقد أحوالها، بينما أسر قال:

- "السلام عليكم"، وهو يُنزل رأسه. لا أعلم لماذا، لكن هذه المرة لم ينظر إليّ مباشرة كما اعتاد أن يفعل. شعرت أنه غريب نوعًا ما.

فأجبتته على تحيته لنا :

- "وعليكم السلام، كيف حالكما؟"

ردّ أسر بسرعة لم أعدها في ردوده من قبل :

- "بخير، وأنتِ؟ كيف قضيتِ يومك؟"

حينها أجبتته :

- "بخير، لقد كان يومًا جيدًا مع منى."

حينها، سألتني رائد:

- "ريما، هل استمتعتِ بوقتك مع أختي؟"

ابتسمت وأومأت بالإيجاب. عندها، نظر إليّ وإلى منى، ثم قال لها:  
"منى، نريد التحدث مع ريما بشأن أمر خاص، هل تسمحين لنا  
لدقيقة؟"

شعرت بتوترٍ مفاجئ، فأنا سألني مع هذين الرجلين وحدنا لبعض  
الوقت! يبدو أن هناك شيئًا جديدًا تم اكتشافه بخصوص تلك  
الشريحة الإلكترونية.

نظرت منى إلى رائد بتفهم، ثم قالت:

- "لا تتأخرا في الحديث معها، فهي تؤنسني حقًا." ثم ابتسمت لي  
وذهبت.

أما أنا، فتبعْتُ رائد وأسْر إلى صالة الانتظار المخصصة للضيوف.  
جلستُ على الأريكة، بينما جلسا هما على الأريكة المقابلة لي،  
تفصل بيننا طاولة صغيرة.

حينها، نطق أسْر قائلاً:

- "لقد وجدنا مكان كمال."

في تلك اللحظة، شعرت أن قلبي توقف، وبدأ الخوف يتسلل إلى  
أعماقِي شيئًا فشيئًا. سألته بقلق واضح:

- "إذًا، أين هو الآن؟"

أجاب أسْر:

- "في الحقيقة، والدك مختبئ في مدينة مجاورة لمدينتنا."

اتسعت عيناِي من الصدمة، لم أتوقع أبدًا أن يكون أبي قريبًا إلى  
هذا الحد! كنت أظن أنه غادر البلاد أو ذهب إلى مكان بعيد، لكن  
لم يخطر ببالي أبدًا أنه في مدينة مجاورة.

سألته بقلق وتردد:

- "إِذَا، هل سنذهب إليه غدًا؟"

وتابعت كلامي بنبرة قلقة: "

- أنت قلت إنه في مدينة مجاورة، أي أنه لا يبعد كثيرًا، صحيح؟"

أوماً أسر برأسه موافقًا، فتابعت كلامي:

- "حسنًا، متى سنذهب إذا؟ غدًا؟"

حينها، قاطعنا رائد قائلًا:

- "حسنًا، ياريمًا، في الحقيقة نحن نشك أن والدك ليس وحده في

ذلك المكان، ولهذا، ذهابك معنا سيكون صعبًا نوعًا ما."

رفعت حاجبي باستغراب وقلت:

- "ماذا تعني؟"

أجاب أسر:

- "ما يقصده رائد هو أن المكان الذي يتواجد فيه والدك ليس

أمنًا، ونحن لا نعلم عنه الكثير حتى الآن. بعد تحليل الشريحة

الإلكترونية، وبعد التواصل مع بعض الأشخاص الذين رأوا

والدك آخر مرة، لدينا شك—وليس يقينًا—بأنه ليس وحده

هناك. لهذا، ذهابك معنا قد يكون خطرًا، ونحن نرى أنه من الأفضل ألا ترافقينا."

حينها، قاطعتُ كلامهم رافضةً رفضًا قاطعًا، وقلت بحزم:

- "هذا مستحيل! سأذهب معكما ولو كان ذلك على حساب حياتي!"

رفع أسر نظراته إليّ أخيرًا وقال بجديّة:

- "أنتِ تعلمين أنكِ لن تكوني في مأمن، خاصة وأن والدكِ يملك الكثير من الرجال. ماذا لو قُتلتِ أثناء رحلتنا إليه؟"

نظرتُ إليه بثبات وأجبتُه بنبرة قوية ترد على كلامه :

- "إنه والدي، وأنا ابنته الوحيدة. حتى وإن كان غامضًا، وحتى إن كانت علاقتنا سطحية، ولم يكن والدًا جيدًا بالنسبة لي، فأنا أقر بذلك، لكن يستحيل أن يقتلني! يستحيل أن يقتل ابنته، ولا يمكن أن يجهل رجاله ذلك."

ساد الصمت بيننا للحظات، قبل أن يكسره رائد بقوله:

- "إدًا، ربما، أنتِ مُصرّة على الذهاب معنا؟"

أومأت له موافقةً بكل إصرار وثقة:

- "نعم، بكل تأكيد."

حينها، قال أسر بجديّة:

- "إدّاً، استعدي... سننطلق إلى تلك المدينة الليلة، عند منتصف الليل."

عمّ الصمت مرة أخرى، ثم سألته قائلة:

- "أعني أننا سنذهب إلى والدي اليوم، عند الساعة الثانية عشرة ليلاً؟"

أجابني:

- "نعم." ثم رفع حاجبه بسخرية وأضاف:

- "أم أنكِ خائفة؟"

نظرتُ إليه بحدة وأجبتّه بثقة:

- "لستُ خائفة، لكن لا يمكنني الذهاب مع رجلين وحدي في هذا الوقت المتأخر. ثم صمّتُ لبرهة، لكن أسر كان يعلم ما أفكر فيه، فقال لي مباشرة:

- "أعلم ما تفكرين فيه، ولهذا السبب سنستخدم سيارة الشرطة، لتجنب لفت الانتباه والشكوك لأننا لو أخذنا سيارتنا العادية

فسوف ينظرُ الناسُ إلينا تلك النظرة تعلمين مقصدي ، لكن عندما تكونين برفقة قائد الشرطة ومساعدته، لن يشك أحد في الأمر. وإن كنتِ لا تريدين المحيء، فهذا سيسهّل علينا المهمة، فأنا لا أريد تكسير رأسي بتعريضك للخطر."

حينها، تدخل رائد قائلاً بلهجة مهدئة:

"هون عليك يا رجل، سنأخذها معنا. إنها ابنته، وستساعدنا. على الأقل، وكما قالت، من المستحيل أن يقتل ابنته."

بعد كلام رائد، ساد الصمت للحظة، قبل أن أكسره بنظرة تحدٍ مباشرة إلى أسر. كنتُ واثقة من أنه يفهم لغة عيوني جيداً، بل ويحفظها، فهي اللغة التي طغت بيننا منذ أول لقاء لنا. قلت له بحزم:

"حسناً يا أسر، اليوم، عند منتصف الليل، سننطلق، صحيح؟"

أجابني بنظرة تحدٍ مماثلة:

"نعم، صحيح."

ثم قال بلهجة ساخرة:

"ألا تريدين معرفة سبب اختيارنا لهذا الوقت تحديداً؟"

أجبتَه بفضول:

- "بالطبع أريد، إن شئتَ أن تخبرني."

قال بجديّة:

- "المدينة التي يختبئ فيها والدك تبعد عن مدينتنا حوالي 60 كيلومتراً، لذا سنستغرق قرابة ساعة ونصف إلى ساعتين للوصول إليها. بعد ذلك، سنتواصل مع مركز الشرطة هناك للحصول على بعض المعلومات عن المكان، وسأطلب دعم بعض رجال الشرطة في ذلك المركز لمساعدتنا."

قاطعتَه متسائلة:

- "ولماذا لا تأخذ رجالك؟"

أجابني هذه المرة رائد بدلاً منه:

- "في الحقيقة، يا ريما، رجال القائد أسر مسؤولون عن هذه المدينة، وأخذهم في هذا الوقت المتأخر سيكون أمراً غريباً، خاصة وأنه ليس وقت دوامهم. إضافة إلى ذلك، هناك قضايا كثيرة يتولونها هنا. أما السبب الأهم، فهو أن المنطقة التي سنذهب إليها تابعة لشرطة تلك المدينة، وبما أننا سنعتقل شخصاً منها، فمن الضروري أن تتدخل شرطتهم، لأن احتجازه

سيتم هناك مبدئيًا. لكننا سنعمل على نقل احتجازه إلى مركزنا  
بدلاً من مركزهم، وهذا ما سنناقشه معهم عند وصولنا."

أومأت له متفهمة، وقلت:

"آه، لقد فهمتك. إذًا، تريد الاستعانة بشرطة تلك المنطقة لأنهم  
الجهة المختصة هناك، لكنك في الوقت نفسه تريد نقله إلى  
مركزكم بعد القبض عليه."

قال أسر مبتسمًا بسخرية:

"وأخيرًا، شغلت عقلك قليلًا!"

نظرتُ إليه بحدة وقلت له بغضب طفيف :

"عقلي يعمل دائمًا، أنت من لا يعرف كيف يفهمه!"

ساد الصمت للحظة، ثم أدركت أنني قلت كلامًا غبيًا كعادتي،  
لكن أسر ابتسم ابتسامة خفيفة وهو ينظر إلى عينيّ، وقال  
بجدية:

"استعدي يا فتاة، فغداً لن يكون كأى يوم آخر مرّ عليك. ما

ستعيشه الليلة مختلف تمامًا... هل أنت مستعدة؟"

أجبتة بكل ثقة:

- "نعم، مستعدة... جهّز نفسك أنت للحقيقة فقط!"

حينها، قال رائد بحماس واضح على ملامحه:

- "ساعات قليلة تفصلنا عن كشف الحقيقة... استعدوا

جيداً، يارفاق!"

بعد أن قال رائد كلماته هذه، نظرتُ إلى أسر، لكنه بدلاً من النظر إلي، اكتفى بالصمت مُنْزلاً رأسه ويفكر بهدوء تام. شعرتُ بشعور غريب تجاه هذا الموقف، مزيج من الحماسة والخوف في آنٍ واحد. سأذهب لرؤية والدي، سأعرف إن كانت له علاقة بموت أمي، لكنني خائفة من أن أكتشف أشياء صادمة قد تؤثر على حياتي أو تمسّ براءتي.

حين انتهى الحديث بيننا، استأذنتُ منهما قائلة:

- "استأذنكم بالخروج الآن، إذا احتجتم إلى شيء فأخبروني."  
وقفتُ من على الأريكة وهممتُ بالخروج، لكن أسر ناداني فجأة:  
- "ريما، انتظري."

التفتُ إليه مستغربة وقلتُ:

- "ماذا هناك؟ هل تريد إخباري بشيء آخر؟"

تقدّم نحوي بخطوات ثابتة، ثم أخرج شيئاً من جيبه ومدّه إليّ قائلاً:

- "تفضّلي، هذا هاتفك."

اتسعت عيناى من الصدمة! كان هاتفى معه طوال هذا الوقت ولم يعطنى إياه! أمسكته بسرعة وأخذته من بين يديه ثم سألته بحدّة:

- "كيف لك أن تخبئ عني هاتفى؟! إنه ملكى، لماذا لم تعطنى إياه منذ البداية، منذ خروجى من المحكمة؟!"

ردّ عليّ بصوت هادئ:

- "فى الحقيقة، كان هاتفك فى مركز الشرطة طوال فترة التحقيقات، وكنا قد فتّشناه بالكامل ولم نجد فيه أى شيء مريب. وبعد انتهاء الإجراءات، قررتُ أن أعيدّه لك، لكن لم تكن هناك فرصة مناسبة لذلك. لذا، أحضرته معى اليوم من المركز، وها هو الآن بين يديك، يمكنك استخدامه متى شئت."

هممتُ موافقةً له ، ثم قلتُ:

- "شكرًا لك."

بعدها، غادرتُ المكان دون أن أقول كلمة أخرى، تاركَةً أسر ورائد داخل الصالة، بينما كانت أفكارى تكاد تقتلنى. كنتُ متحمسةً وفضوليةً جدًّا، أعدّ الساعات المتبقية لانطلاقنا إلى المكان الذى يوجد فيه والدى.

بعد مرور ثلاث ساعات من النقاش الذي دار بيني وبين أسر ورائد، دقت الساعة الثانية عشرة منتصف الليل. كنت في غرفتي مع منى، وقد أكملت استعداداتي، ارتديت ملابسني وودعت منى قائلة:

"دعواتك لي بالخير، وتممّي لي من الله أن أعود سالمة". ثم عانقتها بحرارة، فنظرت إلي بحنان وقالت:

"لا تخافي، إنّ الله مع الحق ، إنّ الله معكم، والله دائمًا ينصر الحق".

حينها سمعنا صوت دقات باب الغرفة ، فاستأذنا للطارق بالدخول، حينها دخل رائد وقال:

- "هل أنتم جاهزون؟". أخبرناه أنا ومنى أننا جاهزون. كانت منى ستذهب معنا أيضًا في السيارة، حتى نضعها في منزلها، لأنه يستحيل أن نتركها وحدها في الشقة.

خرجنا من الغرفة أنا ومنى ممسكتين بأيدينا، شعرت وكأنني أعرفها منذ وقت طويل، ارتحت لها بشكل لا يُصدق. ما إن خرجنا من الغرفة، قال لنا رائد: -"لننزل الآن".

سألته: "وأين أسر؟".

أجابني:

- "أسر في السيارة ينتظرنا".

نزلنا، وترك رائد وراءنا ليقفل باب الشقة. نظرت إلى باب الشقة  
وقلت في نفسي:

"لن أنساك ما حييت، فقد كنت ملاذًا آمنًا وسط مواقيف  
الموحشة".

ركبنا السيارة متجهين إلى منزل رائد. وماهي إلا دقائق معدودة  
حتى وصلنا إلى منزل رائد ، نزل رائد وحمل حقائب منى التي  
أحضرتها من أجل المبيت معي في الشقة. دخل رائد مع منى إلى  
منزلهما، ليتأكد من أنها دخلت بأمان.

في تلك اللحظات، نظر لي أسر وقال:

- "يجب عليك أن تعلني شيئًا".

فقلت له:

- "ماذا؟".

أجابني وعيناه تلمعان نارا قد تحرق كل من نظر إليها :

- "يجب أن تعلني سبب كرهني لوالدك حتى لا تنصدمين من ردة فعلي عندما أراه".

عمت لحظات من الصمت بيننا، وبدأت نبضات قلبي تتسارع، ليس بسبب الإعجاب أو الحب، ولكن خوفاً مما ارتكبه والدي من جرائم بحق هذا القائد.

ما إن أوشك على الكلام حتى دخل رائد، وكانت بيننا شرارة صغيرة من التوتر. نظر لي رائد، فوجدني متوترة وخائفة، بينما نظر إلى أسر مهدوء، وجهه خالي من أي ملامح، تقريباً برودة تكتسح وجهه. ثم قال:

- "تركتم للحظات، هيا بحقكم، ماذا حدث هنا؟"

أجاب أسر قائلاً:

- "كنت أريد أن أتحدث إليهما عن كرهني لوالدها " ثم صمت رائد وقال:

"إذن، أسر، دعني أنا من يقود السيارة، وأنت تكلمها. أعلم جيداً أن مزاجك سيتغير عندما تخبرها عن أعمال ووقاحة والدها"

عم الصمت بيننا للحظة، ثم نزل أسر من جهة المقود، وركب في الجهة الأخرى بينما رائد جلس خلف المقود وبدأنا في انطلاقنا إلى

مكان والدي السيد كمال. هنا، بدأ أسر بالكلام أخيرًا وكشف عن الماضي الذي جمعه مع والدي قائلًا :

- "والدك، ياريمما، لم يكن رجلًا عاديًا كما يعتقد الجميع. كان أكبر رجل أعمال في مدينتنا، بل في البلاد كلها. نعم، لا يمكنني إنكار ذلك. ولكن قبل هذا، كان صديقًا لوالدي منذ أيام الجامعة. درسًا معًا في نفس المجال، وقررنا أن يتشاركا في مشروع تجاري يهدف إلى إنتاج شركة كبيرة تنمو مع مرور الوقت. كان والدك فطنًا للغاية وكان السبب الرئيسي في نجاح تلك الشركة. لكن طمعه في المال وغروره بسبب نجاحه دفعاه إلى طعن والدي، فأخذ منه أوراق الشركة والملكية، وتبرأ منه، مستوليًا على الشركة لنفسه. لكن، لم ينسَ أن يعطي لوالدي مبلغًا من المال وأمره أن يؤسس شركته الخاصة.

غضب والدي بشدة، وفكر في قتله، لكنني لا أعلم ما الذي حدث بعد ذلك فلم يفعل والدي ما أراد فعله. بدأ والدي في العمل على مشروعه الخاص، حتى نجح وأصبحت شركته كبيرة جدًا، تنافس شركته شركة والدك كمال. أتذكر جيدًا أن هذا ما أخبرتني به والدتي أو ربما هكذا كان تبريرها لأفعاله ، كنت صغيرًا، وكان والدي لا يهتم بنا كثيرًا، وكل ما كان يشغل تفكيره هو التفوق

على كمال في مجال ريادة الأعمال. أما والدي، فكانت هي مصدر سعادتي آن ذاك.

ومع مرور الوقت، بدأ الشجار بين والدي ووالدي يتزايد، خاصة بعدما بدأ والدك يدخل منزلنا. كان والدي يتشاجر مع أمي، ويتهمها بخيانتته مع صديقه كمال. وصل الأمر إلى حد أن والدي بدأ يضرب أمي، بينما كانت أمي تبكي في زوايا المنزل.

أتذكر يومًا ما، عندما كنت في المدرسة وعُدت إلى المنزل لأجد والدك، كمال، يقف مع والدي يضحكان معًا كما لو أنه لا شيء قد حدث. ولكن عندما دخلت المنزل، كان الموقف الذي لا يمكنني نسيانه. وجدت أمي على سريرها، تلفظ أنفاسها الأخيرة. كانت الخادمة في الغرفة، وقالت لي إن حرارتها مرتفعة جدًا، وأنها تناولت الكثير من الأدوية بنية الانتحار. حينها، شعرت بغضب شديد. كيف يمكن لوالدي أن يترك أمي تموت ويواصل الضحك مع صديقه؟!

ركضت إلى والدي في غرفة الضيوف أين تركته هناك قبل رؤية حال أمي ولكنني وجدت أن كمال قد ذهب من هناك أي وجدت والدي بمفرده في الصالة ، وطلبت منه أن ينقل أمي إلى المستشفى، لكنه تجاهلني كما لو أنني غير موجود. كنت صغيرا أن ذاك أذكر أنني تمسكت بقدميه بكلتي يداي وأنا أرفع رأسي له

وأترجاه أن ينقذ أمي، حينها دفعني على الأرض، وكان وجهه مليئاً  
بابتسامة شريرة، كأنه كان يستمتع بعذاب أمي. قال لي تلك  
الجُملة التي لن أنساها ما حييت:

- "إن أردت إنقاذها ، فاذهب وخذها بنفسك".

كنت صغيراً جداً، شعرت بالعجز والخوف، ولكنني لم أستسلم.  
بدأت في البكاء وأنا أرجوه، لكنه ظل يتجاهلني، حتى اتصل  
بصديقه كمال، ليخبره عن حالة أمي. سأل كمال:

- "هل يجب أن نأخذها إلى المستشفى، أم نتركها تموت؟". لم  
أصدق ما سمعته. والدي يستشير والدك من أجل حياة أمي. لا  
أصدق ذلك! ولكن صديقه، كان يستهين بحياة أمي .

في النهاية، أمر والدك أن يأخذوا أمي إلى المستشفى ولكن بعد  
فوات الأوان . بسبب تأخر إسعاف أمي . ماتت والدتي وهي في  
طريقها إلى المستشفى وذلك راجع إلى الجرعة الكبيرة من الأدوية  
التي تناولتها ومنذ ذلك اليوم، بدأت أكره والدك. كنت أعرف أن  
والدي كان مجرد قطعة شطرنج في يد كمال. لو كان قد فعل ما  
يجب عليه من البداية، لما فقدت أمي حياتها. لكن كمال لم يكتفي  
بهذا فقط بل و كان أكبر تاجر مخدرات في مدينتنا .كان أقوى من  
الجميع، ومهما فعلنا، لم نتمكن من إثبات أي شيء ضده. كان

لديه النفوذ، وكان يهدد الشهود، ويمارس سطوته بشكل وحشي. منذ تلك الحادثة، قررت أن أصبح محققًا، وأن أنتقم لوالدتي وأنتقم لكل العائلات التي أذى أبنائهم بتلك المخدرات بذلك السم القاتل . وكلما فكرت في كمال، زاد كرهى له في قلبي. السبب في مقتل والدتي هو كمال. هو السبب في كل ما عايناه. ورغم أن والدي كان مجرد جزء من اللعبة، إلا أنني لم أستطع أن أغفر له لما فعله.

صمت أسر للحظة، وعيناه مليئة بالشرر. ثم أغمض عينيه لفترة وكأن ثقل الماضي يثقل قلبه. نظر إلى ريمما التي كانت تراقب الوضع بصمت، وعندما عاد للنظر إليها، وجدها غارقة في أفكارها والدموع تنهمر من عينيها، لم تستطع أن تخفي الحزن في عينيها، وكذلك شعورها بالصدمة. لم تكن تعرف الحقيقة بالكامل، رغم أنها كانت تشعر بالانفصال الكبير بين والدها وبقية العالم. إلا أنها لم تتوقع أن تكون أفعاله هكذا مؤذية ووحشية .

حينها أكمل أسر كلماته قائلاً:

- "أعلم أن هذه الحقيقة صعبة، ولكن الحقيقة هي أن والدك كان السبب في مقتل أمي، وأنه حتى بعد أن ماتت، بقيت حياتنا على المحك بسبب مواقفه. لا أستطيع أن أصدق أن والدك كان جزءًا من هذه القصة كلها، لكنه كان. أريدك أن تعلني شيئًا، يا

ريما. منذ هذه اللحظة، سيبدأ قلبك في صراع أكبر من أي وقت مضى. الآن علمتي جميع الحقائق والحقد الذي أكنه تجاه والدك، هو أمر لم يكن عليك سهلاً. ولكن الآن، أنا متأكد أنك بدأت تستوعبين الأشياء الخطيرة الذي فعلها والدك".

في تلك اللحظة، نظرتُ إلى أسر، وكان قلبي يخفق بسرعة بسبب كلماته. كنتُ أحاول استيعاب ما قيل لي، ولكنني أستطيع أن أتخيل أبداً أن والدي كان ضالعاً في مثل هذا الظلم. كأن كل شيء انهار أمامي. لم أتمكن من إخفاء الهمسات التي خرجت من شفطي بصوت ضعيف:

- "كيف؟ كيف يمكن أن يكون والدي هكذا، ذلك الرجل الذي لطالما اعتقدتُ أنه الرجل المثالي في عمله وأن انشغاله عنا هو من أجل أن يوفر لنا كل ما نحتاجه، كيف له أن يكون هو نفسه من تسبب في كل هذا؟"

توقفت عن الحديث للحظة، ثم أضفت بصوت مكسور:

"أنا... لا أستطيع أن أصدق ذلك، لا أستطيع أن أصدق أنني إبنة رجل قاتل وتاجر مخدرات".

مر الوقت بسرعة، وها نحن الآن نصل إلى المدينة التي يتواجد فيها والدي. وصلنا حوالي الساعة الثانية صباحاً. عند وصولنا،

مرّ رائد بالسيارة إلى مركز الشرطة بالمدينة، حيث كانوا قد أجروا اتصالاً مسبقاً قبيل وصولنا واتفقوا على كل شيء. اتحد أسر مع رجالٍ من مركز الشرطة في تلك المدينة، التي كانت تُدعى "مدينة بوسعادة". وتبين أن والدي كان متواجداً في منطقة تدعى "ميطر"، وهي جزء من هذه المدينة. وبفضل الشريحة الإلكترونية التي منحها لنا والد أسر، تمكنا من تحديد موقعه بالضبط.

اتفق الجميع على أن الهجوم على منزل والدي سيكون بعد صلاة الفجر، أي حوالي الساعة الرابعة والنصف صباحاً. خلال هذه المدة، جلست في السيارة بينما كان رائد يجلس في المقعد الأمامي وأخبرني بكل هذه التفاصيل. كان أسر لا يزال في مركز الشرطة، وعندما دخل إلى السيارة، أخبرنا أننا سوف ننتقل إلى مسجد قريب من المركز يحتوي على مصلى للنساء وآخر للرجال. سنبقى هناك حتى يتم تنفيذ الهجوم.

ذهبنا إلى المسجد، دخلتُ إلى مصلى النساء الذي كان فارغاً. شعرتُ برغبة شديدة في البكاء ومناجاة الله. مرت ساعتان كاملتان ونحن هناك حتى رُفِعَ أذان الفجر. فصليت ودعوت الله أن يوفقني. و ما إن انتهينا من الصلاة، حتى اتصل بي رائد من هاتفي. فأجبت على المكالمة وقال لي:

- "أخرجني من المصلى، سنباشر الآن مداهمة منزل والدك."

\*\*\*

قطعت الاتصال سريعاً، وخرجت مسرعة، وزادت دقات قلبي أكثر فأكثر. ركبت السيارة مع أسر ورائد، متجهين إلى منطقة "ميطر" حيث يقع منزل والدي. بعد لحظات وصلنا إلى هناك، وبدأ المنزل يظهر شيئاً فشيئاً. أشار أسر بيده وقال لي:

- "انظري، هذا هو المنزل الذي يوجد فيه والدك." تأكدنا من ذلك بفضل رجال شرطة هذه المنطقة. هناك كانت سيارتنا الخاصة بسيارة الشرطة، وكان هناك سيارتان تابعتان للشرطة في هذه المدينة وراءنا.

عند وصولنا إلى المنزل، خرج أسر ورائد، ثم خرجت بدوري من السيارة. نظر لي أسر وقال:

- "ادخلي إلى السيارة، سوف نتحقق من المكان أولاً ثم تعالي."

أجبت بنبرة قاطعة :

- "هذا مستحيل، سأذهب معكم."

فقال رائد:

- "لا فائدة من إقناعها بالجلوس في السيارة ، فهي عنيدة أكثر منك."

قال لي أسر حينها بنبرة حازمة:

- "حسناً ، إذن ابقِ بجانبى ولا تتحركي من خلفي ، اتفقنا؟"  
أومأت برأسي موافقة وأجبت بصوت منخفض:

- "حسناً ، اتفقنا."

دخلنا حديقة المنزل ، وأنا أتبعه مباشرة ، خلفنا أربعة رجال من شرطة المنطقة. لكن ما أثار دهشتي هو أنني لم ألاحظ أي حراس أو خدم في المكان ، كما كنت أتوقع. كان المنزل متواضعاً إلى حد ما ، متوسط الحجم ، يزينه حديقة صغيرة أمامية ولونه الأبيض المائل للصفرة يضيف عليه طابعاً بسيطاً. بدا كما لو أنه منزل شخص عادي ، بسيط في حياته ، عكس ما كنت أتخيله عن حياة والدي المترفة والسلطوية.

لكن المفاجأة كانت في لحظة دخولنا حديقة المنزل ، حيث سمعنا صوت الباب يفتح وكأن صاحب المنزل قد شعر بقدمونا . تراجعتم خطوة إلى الوراء ، بينما رأيت رجلاً مسنّاً يفتح لنا الباب وكأنه يعلم بوصولنا ويريد استقبالنا . وهناك كانت الصدمة أكبر من أن

توصف؛ لم يكن الباب هو ما صدمنا، بل الرجل نفسه الذي فتح  
الباب . لم أكن أستطيع أن أصدق ما رأيته لقد كان هو لقد رأيته  
الرجل الذي فتح لنا الباب كان .....

## الفصول الأخيرة قد ظهرت

حينها صدمنا من هول المنظر الذي رأيناه. الرجل الذي فتح لنا الباب، كنت أعرفه جيدًا. كانت الصدمة واضحة على ملامحي، أنا ورائد، وخاصة أسر الذي كادت عيناه تسقطان من مكانهما من شدة الصدمة. ظهرت على ملامحه ملامح الغضب العارم، حتى بدت عروقه بارزة وأحمر وجهه، وعيناه كأنهما عينان لذئب جائع يتهماً للقضاء على فريسته. الرجل الذي فتح الباب كان بمثابة الأب بالنسبة لي . وكان أسر قد عامله باحترام شديد حتى في السجن. أما أنا، فلم أكن أتوقع أنني سأراه هنا.

الذي فتح لنا الباب كان العم فارس، سائق والدي المخلص. انحنى لنا باحترام وقال: - "تفضلوا، السيد كمال ينتظركم في الداخل." في تلك اللحظة، تجمدت أفكارنا جميعًا. علمنا أن والدي كان على دراية بكل شيء: متى؟ وأين؟ وكيف؟. كل هذه الأسئلة تدور في أذهاننا، لكنها كانت صدمة أكبر من أن تُحمل.

لكن ما جعلنا نكاد نفقد السيطرة على أنفسنا هو رد فعل أسر. انطلق فجأة، أمسك برقبة العم فارس وكأنما يريد قتله. وجهه امتلأ بالغضب العارم، وقال له بتهجم:

- "أنت كنت تعرف كل شيء منذ البداية! لهذا رفضت أن تخبرني  
أثناء التحقيقات أين كان سيدك؟!"

كانت نبرة صوته مليئة بالغضب الشديد، لدرجة أنني شعرت  
بالخوف لأول مرة أراه بتلك الحالة و لم أكن أتخيل أنني سأخاف  
منه.

في تلك اللحظة، تدخل رائد سريعاً، وأبعد يد أسر عن عنق العم  
فارس قائلاً:

- "اهدأ! لا تنسى أنك شرطي، وأتيت لتطبيق العدالة. خلافاتك  
الشخصية شيء، ومسؤولياتك المهنية شيء آخر."

كلمات رائد كانت كالمهدئ بالنسبة لآسر، وكأنها تساهم في تهدئته  
قليلاً. رغم أنني كنت في حالة من التوتر، إلا أنني لاحظت كيف أن  
رائد يزن كلماته ويعرف كيف يتصرف في مثل هذه المواقف.

نظر آسر إليّ، وكانت ملامح الغضب لا تزال باقية على وجهه، ثم  
قال:

- "ادخلي، لتري والدك، وما سأفعله به."

لحظة من الصمت اجتاحني، وأصابني قشعريرة من كلماته. لكنني قررت أن أكون قوية. تقدمت نحو أسر بخطوات ثابتة، ثم توقفت أمامه وقلت:

- "إذا كان كل ما قلته عن والدي صحيحًا، فإن دم والدي حلال عليك منذ الآن."

لاحظت صدمته في عينيه وتغير نظراته. ثم قال لي، بصوت منخفض:

- "يا فتاة، كل يوم تدهشينني أكثر."

كلماته جعلتني أبتسم قليلاً، رغم أنني شعرت بأنها ليست إعجاباً بي كشخص، بل إعجاباً بكلماتي في تلك اللحظة فقط. وفي تلك الأثناء، لاحظت أن رائد كان يبتسم أيضاً، رغم أنه كان يحاول كتم ابتسامته عن أسر.

أنزلت رأسي بخجل، ثم تقدمت لأكون أول من يدخل المنزل. دخلنا، و خلفنا رجال الشرطة، وعندما وصلنا إلى الداخل، أمر أسر بتفتيش المنزل. لكن العم فارس قاطعه قائلاً:

- "لا داعي لذلك، يا قائد أسر. لن يهرب السيد كمال ، وستراه الآن. لكن هناك شخص آخر في الداخل سيجعلك تبكي من شدة الصدمة."

لم أكن أفهم ما يقصده العم فارس بكلماته، ولكن الفضول كان يملأني لرؤية والدي ورؤية رد فعل أسر عندما يواجه قاتل والدته.

حينها تجاهل أسر كلمات العم فارس وواصل أمره لرجال الشرطة بتفتيش المنزل. وبينما هم في ذلك، نزل رجل من على السلالم بخطوات ثابتة ومشية رزينه وهيبة قاتلة. نظرنا جميعاً إلى مصدر تلك الخطوات حتى صرخ أحد رجال الشرطة قائلاً:

- "قائد أسر، إنه الشخص الذي تبحث عنه، إنه كمال"

عندها نظرت إلى أسر، وكنت أتقرب رد فعله عندما نظر إلى والدي . لم تمض لحظات حتى نزل كمال من على الدرج، ليقابل أسر مباشرة.

كان أسر قد تحول إلى اللون الأحمر بالكامل، مشدوداً قبضتيه وعروقه بارزة، وجهه مليء بالغضب أكثر من أي وقت مضى حتى من اللحظة التي كان قد قبض فيها على رقبة العم فارس. لم يتكلم أسر، بل جعل أفعاله تتحدث في لمح البصر، انقض على أبي

يلكمه بشدة، والدماء تنزف منه دون أن يرف له جفن . حاول العم فارس التدخل، لكن رجال الشرطة منعه ، بينما أدرك رائد ما يحدث أمامنا ، وفهم أنه بات من الصعب السيطرة على أسر في هذه اللحظة. حاول رائد إبعاد أسر عن جسد كمال، لكن حتى هو تلقى نصيبه من تلك الضربات..

نعم، فقد دفع أسر صديقه رائد، مما جعله يسقط على الأرض. تجمدت في مكاني والدموع تنهمر من عيني وجسدي يرتجف بشكل لا يصدق. ماذا أفعل؟ أمي ماتت ورأيت جثتها، والآن سأرى جثة والدي على يد هذا الذئب المتوحش ماذا أفعل؟ كان أسر يبرح أبي ضربًا لا يوصف، لدرجة أن ادماء وجهه كانت تسيل على الأرض. بينما أسر يلكمه و يصرخ:

- "خذ، هذه من أجل أمي، هذه من أجل عائلتي، هذه من أجلي، وهذه من أجل الشباب الذين ضحيت بحياتهم بسبب الممنوعات وهذه من أجل عائلاتهم الذين ذُرفت دموعهم من أجل أولادهم!" كان يلكمه بلا رحمة.

أما أنا، فلم أستطع سوى المشاهدة بصدمه، وأفكاري متضاربة. بينما رائد كان يرفض التدخل، لأنه كان يدرك أنه إذا تدخل الآن، سيخسر صديقه إلى الأبد في شجار عنيف.

كانت تلك لحظات كاد فيها والدي يموت بسبب شدة الضرب. ولكن فجأة، قاطع ذلك الضجيج صوت أنثوي من خلفنا، كان يشبه صوت امرأة مسنة قليلاً. نظرنا إليها وهي تنزل السلالم بصعوبة. كانت ملامحها جميلة جداً، شعرها الأسود الذي تخلله بعض الشعيرات الرمادية دليلاً على كبرها وحكمتها ، وبشرتها الخمرية، وعينها السوداويتين. كان وجهها يحتوي على تجاعيد تحت عينها وتحت ذقنها، وكانت ترتدي ملابس كاملة دافئة من الصوف، وبيدها عصا تستند عليها.

توقفت عند آخر درجة وقالت بصوت هادئ:

"- توقف يا أسر توقف يا بطلي."

بمجرد سماع أسر لكلمات تلك المرأة العجوز توقف عن ضرب  
والدي. كانت كلماتها كأنها سحر، سيطرت عليه وأوقفته بكلمة  
واحدة. نظرت إلى أسر، ولأول مرة رأيت دموعه تنهمر من عينيه،  
وعلامات الدهشة واضحة على وجهه. كان يرتجف من شدة  
الاضطراب، وعينيه لم تفارق تلك المرأة، وكأنها أعادته إلى الواقع.  
نظرت إلى رائد فوجدته متوقعًا هو الآخر، مصدومًا من الموقف.  
حينها، نطق أسر بكلمة جعلت قدماي تجمدان في مكاني وفجرت  
دموعي دون توقف:

- "أمي، أنت حية؟"

بعد أن نطق بأسر تلك الكلمات، نهض بسرعة، وانطلق نحو تلك العجوز وكأنه متلهف للقاءها و احتضانها . بينما تقدمت العجوز نحوه أيضاً بسرعة، مستندة على عصاها. وفي لحظات، رأينا أجمل منظر يمكن أن تراه العين: لقاء الابن المرهق بالأم المشتاقة. حينها، تواصلت الدموع بغزارة من عيني، وكأنها شلال يرفض التوقف. نظرت إلى رائد فبادلني النظرات، ورسم ابتسامة على وجهه رغم دموعنا، كان أسر يحتضن أمه بكل لهفة، يبكي في حضنها كطفل صغير، بينما كانت الأم تمسح على ظهره وتبكي هي الأخرى بكاءً صامتاً.

استوعبت اللحظة، وأدركت الحالة التي نحن فيها. تقدمت مسرعة نحو والدي، وانبطحت على الأرض أمامه. رأيت حالته، أعلم أنه ارتكب أفعالاً سيئة، لكن ماذا أفعل؟ إنه والدي، وديني الإسلام يأمرني بالاهتمام به فلست أنا من يحاسب أفعاله، بل الله وحده، ومن بعده القانون. كل ما علي هو الحفاظ على حياته حتى يُحاسب. أخرجت من جيبي منديلاً وبدأت أمسح الدماء من على وجهه، دماء لكلمات أسر.

حين فتح عينيه، قال لي بصوت ضعيف:

- "ريما، أنت هنا؟" كانت كلماته سببًا آخر في انفجار دموعي. نبرة أبي كانت تحمل ضعفًا لم أعهده عليه من قبل. حينها كانت الصدمة ولأول مرة في حياتي احتضني أبي. نعم، هذا البيت الذي جئنا من أجل محاسبة صاحبه على جرائمه، أصبح البيت الذي جمع أسر بأمه وجمعي أنا بوالدي منظر مؤثر، كنت أحتضن والدي، وكان أسر يحتضن أمه.

بعد لحظات دافئة بيننا، ابتعدت قليلا عن حضن أبي وقلت له بحزن واضح:

- "هل أنت من قتلت أمي؟ أخبرني." حينها، قال لي:

- "سأخبرك بكل شيء، وسأعرفك على فرد من عائلتنا لم تكوني تعرفين بوجوده. ثم قاطع الحوار صراخ أسر عندما قال:

- "سأقتلك يا كمال، سأقتلك!" أدركت حينها أننا عدنا إلى تلك الحالة حالة الغضب والانتقام. كان أسر يقترب من والدي بغضب شديد حتى نطقت تلك المرأة العجوز من جديد:

- توقف يا بني توقف يا أسر هل تريد قتل الرجل الذي أنقذ حياتي؟" صدمنا جميعًا من تلك الكلمات.

نظر أسر إلى أمه وقال لها:

- "ماذا تعني؟"

فأجابته وهي تنظر إلى والدي :

- "كمال يجب أن نخبره بالحقيقة، وأن كل ما حدث ليس له علاقة بك، ثم نظرت إلى أسر وأكملت قائلة :

- بل والدك محمود هو سبب كل المشاكل."

حيثها لاحظت الصدمة التي بدأت تظهر على وجه أسر، وأدركت أنه حان الوقت لتدخلي فقلت:

-حسناً، دعونا نجتمع جميعاً في صالة الانتظار، ليخبر كل منا ما لديه من كلام للآخر وما حدث. وبعدها يا قائد أسر، فلتحكم أنت بين المذنب والبريء، وليكن القانون هو الحكم. نظر إلي أسر طويلاً وقال لي:

- "حسناً."

ثم نظر إلى رائد وقال له:

- "اذهب ونادي رجال الشرطة الذين يفتشون باقي المتزل

وانتظروني هنا بينما أكمل نقاشي مع كمال."

دخلنا جميعاً إلى صالة المنزل وجلست أنا بجانب العجوز أم أسر.  
نظرت إلي، ثم وضعت يدها على وجهي وقالت بحنان لمستها في نبرة  
صوتها:

" يبدو أنكِ كبرت بسرعة يا بنيتي ."

اندهشت من كلماتها وقلت:

عفواً سيدتي، هل أعرفك؟" ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت:

"- ستعرفيني الآن"

. بينما جلس والدي مقابلاً لنا أنا وتلك العجوز، ورفض أسر  
الجلوس وأغلق باب الصالة ليحافظ على الخصوصية. ثم قال  
بهدوء وعينيه تفترس عيني والدي :

"إذاً، تكلم يا سيد كمال، ماذا عندك؟"

## قلبي المسلم يريدك

حينها تكلم والدي مخاطبا أسر ، وقال:

- "ما سبب حقدك علي؟"

فضحك أسر ضحكة مدوية، وكأنه يسخر من سؤال والدي، ثم قال:

- "هل تمزح معي الآن؟"

عندها، نطقت تلك العجوز قائلة:

- "آسر، ولدي، فقط أخبرنا ماذا قال لك والدك عن كمال ، وسأخبرك بكل شيء."

بدأ أسر يروي القصة نفسها التي أخبرني بها عندما كنا في طريقنا في السيارة. وحين انتهى، تنهد والدي (كمال) وقال:

- "حسنًا يا أمينة، كل هذا خطوك، كان يجب عليك ألا تكذبي على الصغير."

رأيت العجوز تبتسم ابتسامة حزينة، ثم نظرت إلى أسر وقالت:

- "سأخبرك بكل شيء يا ولدي، فقط أنصت لي."

تنفست العجوز بعمق قبل أن تقول:

"في الحقيقة، كان أخي كمال والد ريما ومحمود والدك يا أسر  
صديقين مقربين جداً."

شعرت بصدمة كبيرة من كلماتها، فقاطعتها قائلة:

"-ماذا؟!"

نظرت إليّ بابتسامة حنونة وقالت:

"-نعم يا فتاة، أنا عمك، ووالدك هو أخي."

لم تمض سوى لحظات حتى رأينا أسر، الذي كان واقفاً عند  
الباب، ينهار على ركبتيه من شدة الصدمة. ركضت نحوه، أسأله  
إن كان بخير، فأوماً برأسه موافقاً، ثم نهض بصعوبة وهو يقول:

"- ما الذي تقولينه يا أمي؟"

اقتربت منه والدته وربتت على كتفه، ثم قالت بهدوء:

"-سأخبرك بكل شيء... الحقيقة هي أن محمود وأخي كمال كانا  
صديقين مقربين منذ أيام الجامعة. وبعد التخرج، قررا فتح  
مشروع مشترك، ونجح المشروع بفضل ذكاء ودهاء أخي كمال.  
ولكن محمود، الذي أصبح زوجي فيما بعد، لم يكن يعمل كثيراً،

وكان يترك معظم المسؤوليات والقرارات لأخي. ومع مرور الوقت، بدأت الشركة تكبر وتزدهر، فواجه كمال محمود وقال له إنه لم يتعب كثيرًا في هذا النجاح، وأن الفضل يعود له وحده. شعر محمود بالإحباط، وحاول تهدئة صديقه، فاقترح أخي كمال على محمود الانفصال عن الشراكة، وتقسيم الأرباح مناصفة بينهما، ليتمكن كل منهما من إنشاء شركته الخاصة. في البداية، رفض محمود الفكرة، لكن أخي كمال أصرّ عليها، ليس فقط بسبب العمل، بل لأنه أراد الحفاظ على صداقته مع محمود وعدم تحويل الأمر إلى صراع كلما زادت النجاحات "

توقفت العجوز للحظة، وكأنها تسترجع ذكرياتها، ثم أكملت:

"وبسبب حبه لصديقه، قرر أخي كمال أن يزوجه مني وتأجيل فكرة الانفصال عن الشراكة بينهما، وذلك ليصبح محمود جزءًا من عائلتنا. لم أكن مقتنعة تمامًا، لكنني وافقت من أجل أخي. في البداية، كانت حياتنا عادية، مثل أي زوجين، لكن عندما قرر أخي كمال إنهاء الشراكة، لأن محمود لم يكن يعمل بجهد، وافق محمود بصعوبة. وعلى الرغم من أنه لم يكن يستحق جزءًا كبيرًا من الأرباح، إلا أن أخي كمال أعطاه مبلغًا ضخمًا، طالبًا منه أن يستثمره في شركته الخاصة ليتمكن من إعالة عائلته، بما فيهم أنت، يا أسر."

نظرت إلى أسر، الذي كان يستمع بصمت، بينما تابعت والدته:

- "في تلك اللحظة، أدرك محمود أن كمال جادٌ في قراره، فتقبل الأمر وأخذ المال وبدأ شركته الخاصة. لكن العمل لم يكن سهلاً عليه، فقد اعتاد أن يكون في شراكة مع كمال من دون أن يشارك فعلياً في الإدارة أو التخطيط. الضغط كان هائلاً عليه، مما جعله عصبياً ومتوتراً طوال الوقت. بدلاً من أن يذهب إلى كمال ويتحدث معه عن الصعوبات التي يواجهها، ويطلب منه فرصة جديدة لإثبات نفسه، كان يأتي إلى المنزل، ويفرغ كل غضبه عليّ..."

كنت أتحمّل غضبه وصراخه ولا أخبر أخي كمال، حتى لا أكون سبباً في انفصاله عن صديقه، ولكي لا تبقى أنت أيضاً بلا أب. لكن كلما كنت أصمت، كان يزداد قسوة عليّ، ويضربني في كل مرة. وعندما كان يأتي أخي كمال لزيارتنا، لم يكن يدري شيئاً عن معاناتي. كان يسأل صديقه محمود عني، ويطلب رأيي، لكن والدك كان يكذب عليه في كل مرة، ويمنعني من مقابلته حتى لا أخبره بما يحدث.

ورغم ذلك، كان أخي كمال يتصل بي على الهاتف، وكنت أجيبه كما لو أن كل شيء على ما يرام، لأنني كنت خائفة من والدك. كان يقول لي:

- "إن أخبرتِ كمال بأي شيء مما يحدث، فسوف أقتل ابنكِ  
أسر."

كان والدك متوحشًا بطريقة لا يمكنك تخيلها...

وفي أحد الأيام، لم أعد أستطيع تحمل الضرب والإهانة  
المستمرة، فضعفت نفسي، وأعماني الشيطان، وفكرت في إنهاء  
حياتي. تناولت مجموعة من الأدوية، لكن قبل أن أبتلعها جميعًا،  
رأيتي خادمة المنزل وأسرعت نحوي، ورمت الأدوية من يدي. كنت  
أشعر بدوار شديد، فحملتني إلى غرفتي.

في تلك اللحظة، كان أخي كمال قد زارنا كعادته، لكنه لم يكن  
يعلم بحالتي. طلبت من الخادمة أن تناديه، لأنني كنت أعلم أنه  
في صالة الاستقبال مع زوجي محمود.

نزلت الخادمة إلى الطابق الأرضي كما أمرتها، لكن في طريقها التقت بمحمود، فسألها عن سبب استعجالها. وأخبرها أن السيد كمال في الصالة، لكنه أصر على معرفة وجهتها. كانت نيتها أن تخبره بحالتي، ظنًا منها أنه سيشفق عليّ ويأخذني إلى المستشفى، لكن عندما أخبرته، انهال عليها ضربًا، ثم أمرها بالعودة إلى غرفتي، محذرًا إياها من إبلاغ كمال، وإلا سيقتلها.

عادت إليّ الخادمة مرتجفة، وأخبرتني بما حدث. شعرت بيأس شديد وقلت لها:

- "لا بأس، دعيه... فهذا سبب آخر لكي أموت."

لكن بعد لحظات، دخلت أنت يا أسر... نظرت إليّ وعيناك تملؤهما الصدمة. عندها فقط، أدركت أنني إذا رحلت، سأترك ملاكًا صغيرًا لهذه الدنيا القاسية. كنت غارقًا في الخوف، وأردت أن أطمئنك، لكنك لم تسمعي، وخرجت مسرعًا لتنادي والدك، تظن أنه سينقذني. لكنك لم تعد بعدها...

بعد رحيلك، أخبرتني الخادمة أن أخي كمال قد غادر المنزل. حينها، ازداد يأسِي، وأدركت أنني تسرعت في قراري... كنت أنانية، ولم أفكر في ابني الذي سيبقى بلا أم ولا أب.

طلبت من الخادمة أن تعطيني الهاتف، بالكاد كنت أستطيع الحركة من تأثير الأدوية. كانت معدتي تؤلمني، وأشعر أنني سأموت في أي لحظة. بصوت متقطع، أمرتها أن تتصل بأخي كمال، وأخبرته بكل شيء.

عندها، أخبرها أخي كمال بخطة لإنقاذي. طلب منها أن تغطي وجهي وكأنني مت، ثم تذهب إلى محمود وتخبره بذلك، حتى يجبر على نقلي إلى المستشفى باعتباري جثة، دون أن يثير الشكوك أو يجلب الشرطة.

نفذت الخادمة الخطة كما طلب منها كمال، لكن حينها، قاطع كلام أم أسر صوت أبي، قائلاً:

فعلت ذلك حتى لا يكتشف محمود أن أختي لا تزال حية ولأتركه يكمل مسرحيته وهو يظن أنني لا أعلم شيئاً عن معاملته القذرة معها. لكنني كنت أعد خطتي الخاصة... كنت أنتظر اللحظة المناسبة لأنتقم منه بأبشع طريقة على كل ما فعله بأختي."

"حينها أرسلت رجالاً أثق بهم على متن سيارة إسعاف إلى منزل محمود، وأوصيتهم بأن أختي لا تزال حية، وأنها مغطاة فقط لتبدو وكأنها جثة. طلبت منهم تنفيذ خطتهم بدقة لإنقاذها، وبالفعل، نجحوا في إخراجها وأحضرها إلى هذا المنزل.

بعدها، ذهبت إلى محمود وسألته عن سبب وفاة أختي، متظاهراً  
بأنني لا أعرف شيئاً، فقال لي إنها قتلت نفسها وما إلى ذلك. لكنني  
لم أفتنع، فأمرت رجالي بمراقبته عن كثب، فاكتشفت أنه كان  
يتاجر بال ممنوعات. جمعت الأدلة الكافية التي تثبت تورطه،  
وعندما واجهته بها وهددته بالشرطة، كانت ردة فعله غير  
متوقعة...

-لقد هددني بك، يا أسر!

قال لي إنه إن قمت بأي خطوة، فسوف يقتلك... يقتل ابن أختي  
الوحيد.

حينها، كان يطالبني بجميع الأوراق والأدلة التي تثبت تورطه في  
تجارة الممنوعات، وخوفاً عليك، سلمته إياها. لكنه لم يكتفِ  
بذلك، فكان يتخلص من كل من يقترب من كشف حقيقته، إما  
بقتلهم أو تهديدهم أو استغلال أقاربهم لتوسيع تجارته القدرة  
ويقوم بالكذب عليك بأنني أنا الفاعل .

لكن طغح الكيل عندما علمت أنه يريد قتلك يا أسر!

ذهبت إليه مباشرة، وهددته بأنني سأحضر أختي، وأتهمه  
بمحاولة قتلها، بالإضافة إلى تقديم مجموعة من الأدلة الجديدة  
التي جمعها رجالي، والتي تثبت تورطه بالكامل. عندها، أدرك أنه

في موقف لا يُحسد عليه، فحاول أن يقلب الطاولة وهددني بقتل زوجتي. لم أعطه اهتمامًا في البداية، معتقدًا أنه لن يجرؤ على ذلك. لكنه استغل غيابي، وقام بقتلها فعلاً...

وصلني الخبر من رجالي، وعلمت أن ابنتي أيضًا قد رُجَّت في السجن. والأسوأ من ذلك، أنك أنت، يا أسر، كنت المسؤول عن التحقيق في القضية. كنت أعلم أنك تحمل ضغينة تجاهي، لذلك أخبرت أختي، واتفقنا على وضع خطة لمواجهةك بالحقيقة.

قبل اعتقال فارس، سائقي، أوصيته بأنه إن تم القبض عليه، فليدل ببعض الشكوك حولي، كأنني أذهب إلى أماكن غريبة، وذلك فقط لجبرك إلى هنا، حيث الحقيقة. كنت أترك فارس وأتجه بسيارتي الخاصة إلى هذا المكان لأطمئن على أختي فقط.

كما طلبت منه أن يذهب إلى محمود ويسلمه شريحة تحتوي على موقعي لأنني أعلم أنه لن يخاطر بمجيئه لي وأنه سوف يستغل كرهك لي ويرسلك بدلًا منه ، مع رسالة يدعي فيها فارس أنه يعرف مكاني، ومكان زوجته، وأن جميع الوثائق التي تحمل سر نجاحه وأملاكه مخبأة عندي. وبهذا، أجبرته على عقد اتفاق سري مع ابنه الذي هو أنت من أجل أن تأتي لي وقال لك أنني أبرمت معه اتفاق لإطلاق صراح ابنتي كان كذبا. فقط أراد إرسالك من أجل أن تقتلي ثم تصبح ابنتي بلا حماية فينقض عليها كالفريسة

ويقتلها دون علم منك وهذا ينهي عائلي كاملا . و كنت أعلم  
جيداً كيف يفكر، وأردت استغلال حيله لمصلحتي.

كان هدفي أن يأتي كلاكما، أنت وريما ، إلى هنا بقدميكما،  
لتكتشفا الحقيقة. وفي المقابل، أغريته بفكرة أن الوثائق التي  
أمتلكها قد تساعد في السيطرة على مجال ريادة الأعمال بالكامل  
عبر سائقي فارس ."

كانت الصدمات تتوالى علينا، أنا وأسر، وكأن الحقيقة ترفض أن  
تمنحنا لحظة لاستيعابها. وسط ذلك، قطع أسر الصمت قائلاً:

-إذاً، لماذا عندما اتصل بك في ذلك الوقت أخبرته ألا ينقذ أمي ؟  
قاطعه كمال، قائلاً بحزم:

لم يتصل بي، ولم أستلم أي اتصال منه! صدقني، والله لم يتصل  
بي... لأنه كان يعلم جيداً أنه إن فعلها، وإن أخبرني بالحقيقة عن  
أختي، فسوف أقتله بلا تردد!

في تلك اللحظة، شعرت بشيء ينفجر بداخلي... مشاعر متراكمة  
من الظلم والألم والقهر. لم أتمالك نفسي، فانهرت بالبكاء  
بحرقه. وأخيراً... العدالة الإلهية قد تجلت! أخيراً، ظهر الحق  
وزهب الباطل!

انتفضتُ من مكاني، وتوجهتُ نحو أسر مباشرةً، ناظرةً إليه  
بعيون مشتعلة بالألم والغضب، وقلت له بصوت مرتجف:

-كنتُ أعلم أنك مخطئ! لقد قلت لك! قلت لك إن هناك شيئاً  
خاطئاً! والآن... هل أدركت ذلك أخيراً؟ هل الآن فقط وجب عليك  
أن تعتذر لي عن كل ما فعلته بي في تلك الأيام الحالكة؟!!

رأيت أسر يخفض بصره عني للمرة الأولى... وكأنه يحمل جباً لا من  
الندم فوق كاهله. ثم قال بصوت خافت متحشرج:

-أنا آسف... آسف على كل ما بدر مني...

لكن قبل أن يتم كلماته، فجأةً، ترنح جسده، وسقط على  
الأرض فاقدًا الوعي!

مرّ أكثر من أسبوع على تلك الحادثة، وأسر لا يزال غارقاً في غيبوبته ، أسيراً لصدمة لم ترحمه، وضغطٍ عصبيٍ كاد يفتك به. و خلال تلك الأيام، أُدين المجرم محمود رسمياً بعد أن سلّمه والدي إلى المحكمة، لأنه كان يعلم جيداً أن السجن سيكون له أشدّ عذاباً من الموت، فهو رجل متكبر ومتسلّط، والذللّ خلف القضبان أقسى عليه من أي رصاصة. وهذا ما لم يتحمّله، فاختار أن يُنهي حياته وذلك بعد ثلاثة أيام فقط من دخوله السجن، وُجد مشنوقاً في زنزانته. بدا وكأنه أنهى حياته خوفاً من المصير الذي كان ينتظره في قاعة المحاكمة.

بعد سماعه بخبر موت محمود، قام والدي بنقل جميع ممتلكات محمود إلى ابن أخته، أسر. كما كتب بعض العقارات باسم أخته، أي عمتي. وكان هو من أقدم بنفسه على قتل الرجل الذي نَقَد جريمة قتل والدتي، أخذاً انتقامه بيده من ذلك الذي أرسله محمود لتنفيذ الجريمة.

أما أنا، فقد تم إثبات براءتي في أقل من أربعٍ وعشرين ساعة، بفضل الأدلة التي يمتلكها أبي، وهيمنته القوية التي لم تترك مجالاً للشك. ولكن رغم أن حياتي عادت إلى طبيعتها، إلا أن أسر لم يستيقظ بعد.

عمّتي لم تفارقه لحظة، وعيناها المتعبة تروي قصة بكاء لم ينقطع. كنت أشعر بثيء غريب تجاه غيبوبة أسر، قلقٌ لا يوصف، خوفٌ لم أفهمه.

أوه، نسيت أن أخبركم... لقد عدتُ إلى حياتي العادية، وأبي ذهب إلى بيت جدي بيت أهل أمي ليوتّخهم على معاملتهم القاسية لي، بعد أن رويتُ له كل شيء. أما رائد، فقد تولّى منصب أسر مؤقتًا، حتى يستيقظ، وكان يزوره كل يوم ليطمئن عليه. لو لم أكن أعلم أنه مجرد صديقه، لظننت أنه أخوه من نفس أمه.

وبينما كنت أجلس في منزلنا الجديد، الذي اشتراه لنا أبي بعد أن رفضتُ السكن في منزلنا القديم، كانت عمّتي تعيش معنا أيضًا. كنت أذهب كل يوم للاطمئنان على أسر، وعلى الرغم من كل شيء... لم أكن أستطيع تفسير مشاعري.

هل وقعتُ في حبه؟ رغم معاملته القاسية؟ رغم كل ما فعله؟ لا، لم تكن قسوته ما أراه الآن، بل شجاعته. مواقفه غلبت ظلال قسوته. لم أعد ألومه على ما كان عليه، فقد أدركت أن كل شيء كان نتيجة الظروف التي عاشها.

ورغم صمته في غيبوبته، كانت لغة عيوني له أقوى من أي  
كلمات. لم أعد أنظر إليه كقائد يحقق في قضيتي، بل كرجل  
استطاع أن يأسرني دون أن يدري.

خلال هذا الأسبوع، أدركت حقيقة واحدة فقط...

-قلبي أصبح مسلّمًا له، يريدُه...

**\*\*"أسر، استيقظ بسرعة، فقلبي المُسلّم يريدك."\*\***

## أنتَ جرّيمتي الأولى

"وفي اليوم العاشر تحديداً، بينما كنت جالسة أقرأ القرآن على مسامع ذلك المستلقي بلا حراك، كانت عمّتي تجلس أمامي تراقبني بصمت. تقدّمت نحوي فجأة، ثم قالت بصوت دافئ:

- "منذ أن دخل ابني في غيبوبة، وأنتِ كل يوم تقرئين عليه القرآن. والله، لم أجد فتاة تحبه مثلك... ذات أخلاق حميدة، وقوة إيمان ثابتة. حبك لابني تغلّب على كل شيء... حقاً، عندما يستيقظ، سأتي لخطبتك من أبيك، يا ابنة أخي."

شعرت برغبة في البكاء، ونظرت إليها بعيون ممتلئة بالمشاعر المتخبطة، ثم قلت بهدوء:

"إذا كان في اجتماعنا خير، فسوف يكتبه الله لنا، وإن كان فيه شر، فالله أعلم وأرحم. ولكنني أعدك يا عمّتي، بأن أبقى مخلصاً لولدك."

وبعد أن أنهيت كلماتي، بدأت تنظر إليّ بحنان، لكنني تذكّرت فجأة سؤالاً كنت أودّ طرحه عليها. ترددت في البداية، ثم قلت لها:

-عمّتي، هل أستطيع أن أسألك شيئاً؟

فابتسمت وقالت بلطف:

-نعم يا بُنَيَّتِي، تفضِّلِي، ماذا تريدِين؟

قلت بتردّد:

-إنه بخصوص أسر.

تغيّرت نظراتها فورًا من الحنان إلى الاستغراب، وسألتنِي:

-ما به أسر؟

تنقّست بعمق وقلت:

-سمعت من رائد أنه رجل متحقّظ جدًّا تجاه النساء، بل يكرههنّ، خصوصًا عندما عرف أنني ابنة كمال. شعرتُ أن لديه ضعينة عميقة، وكأن الأمر ليس متعلقًا بالوالدي فقط، بل بالنساء عمومًا. هو مشهور بكرهه لهنّ... فهل تعرفين السبب؟"

حينها ابتسمت عمّي ابتسامة حزينة، أو ربما كانت ضحكة خفيفة تخفي خلفها الكثير من الألم، وقالت:

— قد تظنين أن أسر يحمل ضعينة تجاه النساء، نعم... قد يبدو ذلك، لكنه لا يكرههن، ولم يكن يومًا ظالمًا لهن. هو فقط... مجروح. مجروح منذ الطفولة.

كما تعلمين، أسر هو ابني، ووالده كان قاسياً... كان يرى بعينيه ما لا يجب أن يراه طفل في عمره. رأى عنف والده، رأى الإهانات، رأى الظلم، ورأى خيانه لا يستوعبها عقل صغير.

توقفت قليلاً، ثم تابعت بصوت اختلط بالحزن:

- لم يكتفِ محمود بضربي وإهانتني أمامه، بل كان يجلب النساء إلى بيتنا. نساء كثيرات. يدخلن ويخرجن بلا خجل، وكنّ يُمعنّ في إهانتني، يرميني بكلمات جارحة: "زوجك لا يحبك"، "أنت لا تعنين له شيئاً".

وكان أسر يرى دموعي، يرى ضعفي، يرى قلبي ينكسر... كل هذا شكّل في داخله صورة مشوّهة عن النساء. ليس لأنهن كلهن سيئات، بل لأن أول من رآهنّ في حياته كنّ أدوات لوجع والدته .

-لهذا السبب يا بُنَيَّتي، تشكّلت لدى أسر صورة سيئة عن النساء. كان يراهنّ وهنّ يُهنّيني، يجرحن كرامتي بكلماتهنّ وتصرفاتهنّ، وكان يرى والده يسمح بذلك بل يشارك فيه. فنشأ أسر وهو يظن أن كل امرأة لا تريد سوى مصلحتها، فحمل في قلبه ضغينة... ليست تجاه كل النساء، بل تجاه ذلك النوع بالتحديد.

ثم نظرت إليّ وابتسامة حزينة ترسم على ملامحها:

-أسر لا يكره النساء يا ربما... إنه فقط يتألم كلما رأى امرأة تُشبه أولئك اللواتي كنّ سببًا في أوجاع والدته. ماضيه لم يُفارق ذاكرته، وكل امرأة تُذكّره بذلك الألم تُعيده إلى طفولته المكسورة يحمل ضغينة تجاهها .

ومع ذلك، ألم تري كيف تصرف معك؟ رغم قسوته الظاهرة في البداية، إلا أنه اعتذر منك بصدق، وحماك بصدق، لكن بطريقته الخاصة... بطريقة لا تجعلك تظنين أنه تراجع عن كبريائه، أو أنه رجل يسعى لاستغلالك.

لقد اهتمّ بك، ودافع عنك، ورفض أن يراك تتألمين بعد أن كُشفت الحقيقة له . أسر لم يكرهك يومًا، بل كان يُخفي عاطفة لا يفهمها، لأنه ببساطة... طفل مجروح لم يتعلّم بعد كيف يُحب دون خوف.

وقبل أن تكمل حديثها، دوى في الغرفة صوت رنين الجهاز المتصل بيد أسر. التفتنا نحوه بقلق، فوجدنا أن المؤشرات تصدر إشارات غريبة. شهقت عمّي بخوف وقالت:

- "أذهبي بسرعة، نادي الطبيب!"

خرجت راكضة في أروقة المستشفى، أبحث عن الطبيب المسؤول عن غرفة أسر. كان الأطباء هناك يعرفون مدى أهميته، خاصة

بعد توصيات والدي لهم بالاهتمام به. وقعت عيناى على أحد الأطباء، فأسرعت نحوه وقلت:

- "تعال بسرعة، من فضلك! الأجهزة في غرفة أسر ترسل إشارات غريبة!"

ركض الطبيب معي إلى الغرفة، ولحقته ممرضتان، بينما وقفت أنا وعمّتي عند الباب، ننتظر بقلق. استغرقت الفحوصات بعض الوقت، ثم خرج الطبيب أخيراً، والابتسامة تعلو وجهه قائلاً:

- "لقد استيقظ المريض، يمكنكم رؤيته الآن."

شعرت وكأن قلبي قد توقف للحظة، ثم بدأ ينبض بقوة حتى كدت أشعر به في أذني. هل حقاً استيقظ أسر؟ هل عاد بعد أكثر من أسبوع؟

لم أستطع الحراك، كنت متوترة بشكل لا يُوصف. ضربتني عمّتي بخفة على يدي، وابتسمت قائلة:

- "سأراه أنا أولاً، ثم تدخلين بعدي، حتى لا نُشوش أفكاره فهو استيقظ منذ قليل من غيبوبة طويلة"

همهمت بالموافقة، وجلست خارج الغرفة أنتظرها بترقب شديد. بعد لحظات، خرجت عمّتي وهي تبسم وقالت:

- "أسر يريد رؤيتك."

شعرت بارتباك شديد، لكنني تماسكت وطلبت منها أن تتصل  
برائد لتخبره بأن صديقه قد استيقظ. ثم، بدقات قلب  
متسارعة، دخلت الغرفة بهدوء، وقلت بصوت خافت:

- "السلام عليكم."

نظر إليّ أسر، وابتسم ابتسامة خفيفة، ثم قال بهدوء:

- "وعليكم السلام، كيف حالك؟"

كدت أبكي، كدت أقول له:

"انظر إلى ما فعلت بي، أيها القاسي. انظر إلى هذه الفتاة التي  
جعلتها متيمة بك في أقل من خمسة عشر يومًا." لكنني اكتفيت  
بمسح دموعي وقلت بابتسامة:

- "الحمد لله. يا رجل، لقد تأخرت في الاستيقاظ، فانتك الكثير من  
الأحداث!"

ضحك قليلاً وقال:

"لا أظن أن شيئًا يهمني أكثر من رؤيتك أنتِ وأمي بخير... خاصة  
رؤيتكِ وأنتِ بريئة."

ابتسمت بحرقه، ثم قلت له:

- "لقد أخبرتك منذ البداية أنني بريئة، لكنك لم تصدقني."

نظر إليّ مطولاً، ثم قال وهو يبتسم:

"لقد هزمتني يا فتاة... جعلتِ أفعالك تتحدث عن براءتك أكثر من أي كلمات."

ابتسمت بدوري، ثم قلت له:

- "حسناً، لا تُتعب نفسك بالكلام. ستخرج من المستشفى قريباً، ورائد في طريقه إلى هنا. سأخرج الآن لأحضر لك بعض الأشياء التي طلبتها عمّتي. ارتح جيداً، حسناً؟"

لكن قبل أن أبتعد، زادت ابتسامته على وجنتيه، ثم قال لي بصوت دافئ:

"كنتِ تُشبهين الفجرَ بعد ليلٍ طويلٍ، مؤلمةٌ حين تأتيين، جميلةٌ حين تبقين."

وتابع كلماته تلك بحنيّةٍ أكبر، قائلاً لي بهدوءٍ مختلفٍ جميل، بلمسةٍ خاصة، وبنبرةٍ لم أعهد لها عليه من قبل:

- "لن أجد فتاة تهتم بي مثلكِ يا ريما ، لن أجد امرأةً صالحة لي  
مثلكِ يا ريما."

شعرت في تلك اللحظة وكأن الزمن توقف.

هل لتوّه أسر اعترف بحبه لي؟

هل قالها حقًا؟ هل قال إنه لن يجد فتاة تهتم به مثلي؟

هل لتوّه رَجُلِي أسر اعترف بأنني امرأته؟

بعد مرور أيام قليلة، عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي. استعاد أسر صحته وعافيته، وعادت علاقتي بابنة خالتي لميس، واعتذر مني جدي وخالتي عن تصرفاتهما القاسية في ذلك اليوم .

بعد أن خرج أسر من المستشفى انتقلت عمّتي للسكن مع ابنتها، في منزله الجديد، بعد أن تركت منزلنا. ومع مرور الوقت، بدأت صحة أسر تتحسن تدريجيًا، حتى عاد إلى منصبه إلى جانب صديقه رائد، الذي كان لا يكفّ عن القول إن العمل لا يحلو إلا مع أسر.

وكنت أطمئن على أحوال عمّتي بين الحين والآخر من خلال مكالمات هاتفية، فتحدثني عن تفاصيل بسيطة، تارة عن صحتها، وتارة أخرى عن رائد وأسِر.

ورغم كل ما مرّ بيني وبين أسر، لم نعد نلتقي كثيرًا. لقاؤنا بات يقتصر على المناسبات العائلية، مثل دعوة والدي لأخته، فتأتي برفقة أسر. وفي كل مرة، لا نتبادل أكثر من تحية وسؤال مجاملة، ثم يمضي كلٌّ منّا في طريقه.

لكنني، وبصدق، كنت أعلم أنني أحببت ذلك الرجل، وأشعر ، بل أوقن أنه يبادلني شيئًا من الشعور، ولو بالصمت.

ومع ذلك، لم أفكر يومًا في الدخول معه في علاقة، لا عبر رسائل، ولا مكالمات، ولا أي وسيلة أخرى...

أتدرون لماذا؟

لأنني كنت مؤمنة بأن ما كتبه الله لنا، سيأتينا في وقته، وبطريقته، وبالحلال.

البدايات التي لا ترضي الله، نهاياتها لا ترضينا.

وهو... كان يدرك ذلك تمامًا.

لذلك لم يُقَدِّم يومًا على سُؤالي عن رقم هاتفي، ولم يحاول أن يجد طريقًا إليّ عبر وسائل التواصل.

كبر في عيني عندما لم يتفوّه بكلمة واحدة تُخرجني، أو يطلب طلبًا يعلم أنني سأرفضه.

لقد احترمني... واحترم نفسه... وأحَبَّني بصمتٍ نظيف، مثل حبِّ يُنتظر أن يكتبه الله، لا أن تُشعله رغبة.

مرت الأيام والشهور، وها هو الآن يوم تخرجي، نعم، فرغم كل ما حدث لي، لم أتخلَّ عن حلمي ولا عن دراستي، بل واصلت المُضي قدماً، وكافحت من أجل شهادتي. لم ألتفت لتلك الإشاعات التي تقول إنني ابنة مجرم، أو أنني عدت إلى الدراسة بالرشوة وما إلى ذلك، لأنني كنت أعلم، بل كنت متيقنة أن كل ما أعيشه الآن هو قدرتي، كتبه الله لي، ولم يكتبه أحد مهما امتلك من مال أو نفوذ. واصلت سعبي نحو أعلى المراتب في جامعتي، وأعلى المعدلات. وكلما مرت بي لحظة ضعف أو صعوبة، أتذكّر والدتي، كيف كانت تحتويني بحنانها وتخفف عني حزني بكلماتها الدافئة. صورتها لا تغيب عن عقلي، وذلك الألم الذي خلّفه غيابها أصبح أكبر دافع لي للنجاح. حينها أدركتُ أن والدتي - رحمها الله - رغم رحيلها عن دنياي وفقداني لها في حياتي، إلا أنها لا تزال حيّة في قلبي وعائلي الجديدة تقف بجانبني. والدي، الذي تغير من أجلي، وعمتي التي أصبحت بمثابة أُمي الثانية بعد رحيل والدتي، رحمها الله.

وقفنا جميعاً نلتقط صورة تذكارية لهذا اليوم المميز، بينما كنت أمسح دموعي عندما تذكرت أُمي. فبعد حفلة تخرجي ذهبت إلى قبرها لكي أخبرها بنجاحي متمنيةً لو كانت معي اليوم.

آه، نسيت أن أخبركم... لقد ارتديت الحجاب أيضًا، حجابًا شرعيًا يسترني كما أمرني ديني.

انتهت حفلة التخرج في ذلك اليوم، وفي المساء، بينما كنت جالسة في غرفتي، طرقت والدي باب غرفتي . أذنت له بالدخول، فجلس بجانبني وقال بهدوء:

- "ابنتي، هناك شيء مهم يجب أن أخبرك به."

نظرت إليه باستغراب وقلت:

- "نعم، أبي، تفضل."

حينها قال لي أبي وقد لمحتُ الحزن في نبرته:

- "سامحيني يا ابنتي، لأنني لم أكن الأب المثالي بالنسبة لك. سامحيني لأنني لم أحتضنك في أحزانك، ولم أشاركك أفراحك. أعمانى العمل والانشغال حتى نسيت عائلتي. خسرتها بيدي. زوجتي ماتت، وابنتي كبرت وتخرجت، وأنا لا أملك حتى صورة واحدة معها في طفولتها. كنت أعتقد أن الأبوة تكمن في توفير الأكل والشرب فقط، ولكنني لم أدرك كم كنت مخطئًا إلا بعد فوات الأوان. جعلت ابنتي تشعر بأنها بلا أب، رغم أنني كنت حيًا،

وجعلتُ زوجتي تتحمل أعباء البيت كلها وكأنها أرملة، وأنا ما زلت على قيد الحياة.

أنا حقًا أشعر بالخزي والعار من نفسي. أتمنى أن تسامحيني، وأعدك أنني سأغير من أجلك، وسأكون الأب المثالي لك. سامحيني، لأنك كنتِ الابنة المثالية، وأنا كنتُ الأب السيء.

لكني الآن أدركت أن الأبوة لا تكمن فقط في الاهتمام المادي، بل في حب الابنة لأبيها، وفي احتضان الأب لابنته في السراء والضراء.

حينها اجتاحني شعور قوي بالبكاء، وانهمرت الدموع دون أن أشعر بها. كنت أنتظر هذه الكلمات منذ زمن طويل، والآن أحمد الله وأشكره لأن أبي أدرك ذنبه، وهو يحاول بكل جد أن يغير من نفسه من أجلي. وهذه الخطوة وحدها تكفي لتعبر عن صدق نيته وطيبته تجاهي.

حينها أمسكت بيديه وقبَلْتُها، وقلت له وأنا أنظر إلى وجهه:

-لا بأس يا أبي، فكل إنسان يخطئ، لكن ليس كل إنسان يُدرك خطأه ويسعى لتصحيحه. وأنت الآن أدركت خطأك وتحاول إصلاحه، وهذا يسعدني كثيرًا. ولو كانت أمي معنا لفرحت جدًا بما سمعته، وأنا أشعر أنها تنظر إلينا من فوق السماء وسعيدة

بما يحدث بيننا. دعنا ننسَ الماضي، ونركّز على المستقبل. دعنا  
نبنّي معاً مستقبلاً سعيداً يجمع أبًا بابنته."

فرح والدي بكلماتي كثيرًا، ولوهلة ظننتُ أنه سيعانقني، وإذا  
بالمفاجأة: أمسك بخديّ بكتلتي يديه وأخذ يقرصهما بخفة وهو  
يقول:

"إذن يا صغيرتي الكاذبة... أنتِ تملكين أوراق شركتي، هاه؟"

عقدتُ حاجبيّ باستغراب وكأنني أخبره أنني لم أفهم، فأجابني وهو  
يضحك ولا يزال يمسك بخديّ:

"ذهبتِ لتبرمي اتفاقًا مع محمود وقلتِ له إنكِ تملكين الأوراق  
التي يحتاجها، أليس كذلك؟"

حينها تذكرتُ ما حدث سابقًا، وانفجرتُ ضاحكة وقلت له:

"آه... كنت فقط أمزح!"

فشدّ قرصه لخديّ وقال:

"تمزحين مع محمود، هاه؟"

فقلت له:

"هيه يا أبي، أنت فعلاً تملك خزانة في المنزل وتضع فيها أوراقًا!"

حينها ترك خديّ ونظر إليّ نظرة وكأنه على وشك الانفجار من الضحك، وقال:

وهل كنتِ تعلمين أن الأوراق الموضوعّة في تلك الخزانة هي فقط أوراق للعمال الذين استلموا رواتبهم وبعض المستندات من الأرشيف؟! هل كنتِ ستُعطين محمود تلك الأوراق؟"

وانفجر ضاحكًا وكأنه يسخر مني، بينما أجبته بلا مبالاة:

"-وأنت قلتها... إنها مجرد كذبة بيضاء!"

فأجابني مازحًا:

"لكن كذبتكِ كادت أن تكون كذبة سوداء... كنتِ ستثورطين مع

ذلك المجرم!"

فأخبرته بثقة:

"وهل تظنني سهلة، يا أبي؟"

فردّ مازحًا:

"-ومن أين لكِ كل هذه الثقة يا فتاة؟ من تظنين نفسك؟"

فأجبته بكل فخر:

"أنا ابنة السيد كمال!"

ثم قلتُ له بنبرة هادئة يشوبها شيء من الحنين:

- "لا أعلم يا أبي... كلَّ ما كنت أريده هو لقاءك، ومعرفة الحقيقة. هذا فقط ما كان يشغلني. لم أفكر في العواقب حينها، كنت فقط أشتاق لسماع الحقيقة منك."

ترددت قليلاً، ثم أضفت بثقة:

- كما أنني لم أكن وحدي، كان معي ابن عمي أسر... وكنت أعلم أنه لن يسمح لأحد بأن يؤذي. إنه رجل عادل، لا يقبل بالظلم، خصوصاً أنه الضابط المسؤول عن قضيتي... لهذا فإن حمايتي كانت من صميم مسؤوليته."

نظر إليّ والدي بعينين دامعتين، ثم قال بأسفٍ عميق:

"أسف يا ابنتي على كل ما مضى... ولكن أرجوك، لا تكرري مثل هذه المخاطرة مرة أخرى. فكّري في نفسك أولاً، في سلامتك. أنا هنا الآن، وسأبقى إلى جانبك... سأحميك دائماً."

أومأت له وأنا أنظر إلى وجهه دون قول حرف واحد، لقد تغير كثيرا

لم أصدق ما أراه... كأنني أعيش حلمًا، حلمًا طالما انتظرتة.

ثم تردد قليلاً، وظهر الارتباك في صوته وهو يقول:

"وبخصوص ذكركِ لاسم أسر... هناك موضوع جئت لأحدثكِ فيه."

فأجبتُه وعلامات الاستغراب تعلو وجهي:

- "وما هو هذا الموضوع يا أبي؟ ولماذا أنت مرتبك إلى هذه الدرجة؟ هل... هل هو أمر خطير نوعًا ما؟"

تردد قليلاً، ثم قال:

- لا، لا... ليس أمراً خطيراً، ولكن فقط... لا أدري كيف أبدأ بالحديث عنه. حسناً، استمعي لي بعناية، يا ابنتي."

- "أنتِ الآن تخرجتِ، وكبرتِ، وأصبحتِ زهرة جميلة. ولهذا، هناك شخص يريد خطبتكِ على سنة الله ورسوله."

شعرت بتوتر شديد... أنا بالفعل متيمة بشخص واحد، وقلبي يرفض دخول شخص آخر. قلبي هذا قد كُتِبَ باسمه، باسمه هو فقط... فكيف يمكن لأحد غيره أن يأخذني من جناحي والدي؟ بل من هذا الذي يجرؤ على خطبتي بدلاً من أسر؟

قلت بصوت متردد:

- "ومن هذا الذي تقدم لخطبتي؟"

ابتسم والدي وقال:

- "ابن عمك أمينة... أسر يريد خطبتك."

صُدمت للحظة... شعرت وكأنني أريد الطيران من الفرح، لكنني تماسكت احتراماً لأبي، وأخففت رأسي بحياء، ثم قلت بهدوء:

- "إن كان لديه نصيبٌ عندنا، فلا بأس... أنا موافقة، أبي."

فرح والدي كثيراً، واقترب مني ليقبل رأسي وهو يقول:

- "أنا فخور بك يا ابنتي وبقراراتك، وسأعوضك عن كل ما فات، أعدك بذلك."

بعد تلك الليلة تحسنت علاقتي بأبي كثيراً، كما تطورت علاقتي مع صديقتي منى، أخت رائد، حتى أصبحت علاقتنا أقرب من علاقة الأختين. وأيضاً أصبحت ابنة خالتي لميس تزورنا كثيراً، فأصبح لدي أختان وعائلة جميلة. وها هو الوقت يمر بسرعة، وتأتي تلك الأيام التي تمر بها أي فتاة قبل خطبتها. كنت أنا ولميس نجهز لحفل خطوبتي، من اختيار الملابس، إلى التحضيرات، إلى تصفيف الشعر... أشياء الفتيات، أنتم تعرفونها. وها هو اليوم المنتظر قد حل... يوم خطوبتي من أسر!

\*\*\*

كنتُ متوجّهًا مع والدتي إلى منزل ملكة قلبي، ربما. اليوم هو اليوم الذي سأطلب يدها رسميًا، ولم أشعر يومًا بأنفاسي تضطرب كما هي الآن. خلفنا كانت سيارة رائد وأخته منى، يرافقاننا في هذه اللحظة المهمة. عندما وصلنا إلى المنزل، توقفت السيارة، ثم ترجلتُ مع والدتي، واتجهنا نحو حديقة منزل خالي كمال .

طرقنا الباب، فاستقبلتنا فتاة مألوفة، تذكرتُ أنها ابنة خالة ريماء، فقد رأيتها في إحدى المرات عندما زُرنا منزل جدها. كانت ترتدي عباءة فضفاضة وحجابًا يزيدُها وقارًا، لكن التوتر كان واضحًا في ملامحها. رَحبت بنا بصوت هادئ قائلة:

- "تفضّلوا بالدخول."

سرتُ إلى الداخل برفقة رائد وأمى ومنى، ووجدنا أنفسنا في الصالة الفسيحة. لمحتُ نظرات رائد تتابع الفتاة التي استقبلتنا، فابتسمتُ في داخلي وهمست لرائد :

- يبدو أن صديقي أخيرًا قد يقرر إكمال دينه ! فلاحظتُ خجله واحمراره المضحك الذي دلَّ على تأثره بكلامي .

ثم دخل خالي كمال، بابتسامته المعتادة، وقال بترحيب:

- "أهلاً وسهلاً بكم، أنرتم البيت بقدمكم "

قدّم لنا بعض الحلويات والقهوة والعصير، وبدأنا نمزح ونتحدث  
كأننا عائلة واحدة. فجأة، وقفت منى وقالت بحماس:

- "سأذهب لرؤية العروس!"

في تلك اللحظة، شعرتُ بأن قلبي يضطرب، فخفضتُ رأسي  
خجلاً، لكن رائد لم يفوت الفرصة، فركلني بخفة هامساً وهو  
يكتم ضحكته :

- "ما هذا يا رجل؟ لا أصدق! هل أنت خجول!؟".

رمقته بنظرة جانبية متوعدة، بينما تعالت ضحكات أمي وخالي  
عليّ أنا ورائد. وبعد لحظات قليلة، عادت منى برفقة لميس ابنة  
خالة ريما، وأعلنت بمرح:

- "العروس قادمة!"

ساد الصمت للحظات، ثم بدأ صوت خطواتها يقترب. التفتتُ  
نحوها، وعندما ظهرت أمامي، شعرتُ وكأن الزمن قد توقّف.  
كانت ترتدي عباءة أنيقة مستورة، تُبرز جمالها دون تكلف،  
وحجابها منسدلٌ على كتفها في وقارٍ ساحر. لم تكن بحاجة إلى

الكثير من مستحضرات التجميل، فجمالها الطبيعي كان كافياً  
ليخطف أنفاسي.

اقتربت بخطوات هادئة، ثم أَلقت التحية بصوت خجول:

- "السلام عليكم."

ابتسمتُ ورددتُ:

"وعليكم السلام، كيف حالكِ يا ريما؟"

أجابت بصوت ناعم، وبدأنا حديثاً بسيطاً، لكنني لم أكن أركز  
على الكلمات بقدر ما كنتُ أراقب تعابير وجهها المتوردة خجلاً.  
وبعد لحظات، وقفت أُمي، وأخذت خالي معها قائلة:

- "لدينا حديث يجب أن نتناقش فيه."

أما مني، فبدت وكأنها وجدت صديقة جديدة في لميس، بينما رائد  
خرج ليجري اتصالاً مهماً. وهكذا، تركوني وحدي مع ريما...

التفتُ إليها وابتسمتُ قائلاً:

- "إدًا يا ريما... أو لنقل يا عروسي؟"

احمرَّ وجهها أكثر، لكنها ابتسمت بخجل وردّت:

- "حسنًا... يا زوج ريما!"

ضحكتُ وقلتُ لها :

- "سبحان الله، مغير الأحوال من حالٍ إلى حالٍ ! هل تتذكرين لقاءنا الأول؟"

أجابت، وهي تستعيد بعض الذكريات:

- "نعم، كان لقاءً غريباً... كنتَ تظنني..."

قاطعتها:

- "دعينا ننسى الماضي، المهم أننا هنا الآن."

تهددت براحة وقالت:

- "لكنني أريد أن أقول شيئاً... سأكرره ألف مرة... أنا لستُ مجرمة، وأنت شاهد على ذلك، أليس كذلك؟"

ابتسمتُ بمكر وقلتُ لها:

- "في الحقيقة... لا، أنتِ ما زلتِ مجرمة."

تغيرت ملامحها للحظات، ثم نظرت إليّ بقلق وسألت بتردد:

- "ماذا تعني؟!"

اقتربتُ قليلاً وهمستُ:

- "السارقة تُعتبر جريمة، أليس كذلك؟"

همهمت بالموافقة قائلة:

"نعم... لكنني لست مجرمة مالم أسرق شيئاً!"

نظرتُ في عينيها وقلتُ بهدوء:

-ومن قال لكِ أنكِ لم تسرقي شيئاً؟ لقد سرقتِ قلبي وفؤادي...  
خطفَت نظري بجمالِك، وسلبتِ عقلي بكلماتِك. قوة إيمانِك قد  
أدهشتني، وحيأؤكِ جعلني أغير نظرتي تجاه النساء. أنتِ فعلاً  
إمرأةٌ مختلفة بشكل خاص، أنتِ سارقة محترفة، من نوع  
خاص... أنتِ مجرمة حقيقية يا ريما!!

احمرَّ وجهها بشدة، حتى بدا وكأن حياءها سيقتلها. نظرت إليَّ  
بمحبة وقالت بصوت هامس:

- "إذن يا سيد أسر أنتَ جريمتي الأولى"

الآن. ها قد حكيت لك حكايتي يا أمها القارئ، كما وعدتك في  
أول الصفحات. وأريد أن أخبرك شيئاً واحداً، يا قارئ رو ايتي::

>> تذكر أن الحق سيظهرهما طغى الباطل، وتذكر أن

للعدالة أصحاباً ينشرونها بحب <<

>> تذكر أيها الأب، وأيتها الأم، أنه إذا لم تكونا مستعدين  
لتربية أبنائكما، وغرس القيم النبيلة فيهم، وغمرهم بالحب  
والحنان والاهتمام، فلا تنجبا، لأن الأبناء مسؤوليتكما، وغداً  
ستُحاسبان عليهم <<

>> لا تنسى أنه في هذه الحياة، مهما كانت المصاعب في  
طريقك، يمكنك تجاوزها إذا آمنت بقدراتك وبربك أولاً وقبل  
كل شيء <<

>> إياك أن تدع الحياة تنسيك من أنت؛ لا تنسَ أصلك،  
أخلاقك، دينك، وخالقك <<

\*\*\*

>> تذكر، يا عزيزي القارئ، أن ربما رغم كل ما مرت به،  
تمسكت بخالقها، وأيقنت أن الله لن يتركها <<

-

>> لا تنسى يا عزيزي القارئ، أن أسر، رغم كل ما كان  
يعتقده، ظل يحترم كبار السن، وعامل العم فارس حين كان  
في السجن باحترام ، كشخص كبير في السن، لا كمجرم. تذكر:  
اجعل مبادئك قبل كل شيء>>

\*\*\*

>> ولا تنسى أن تتذكر ريما، عندما رفضت أن تبني وحدها  
مع أسرفي المكان نفسه، تصرف راند بشهامة، وأحضر أخته  
لتونسها. فكما تحب لأختك، أحب لابنة غيرك >>

>> تذكر أن أسر، رغم حزنه ودماره وطفولته، لم يصبح مثل والده، ولم يسلك الطريق ذاته<<

\*\*\*

>> لا تنسى أنه حتى في أصعب الظروف، حاول كمال أن يحيي ابن أخته أسر، رغم أنه يعلم أن أسريكرهه <<

>> وَلَتَعْلَمَ يَا عَزِيزِي الْقَارِئُ، صَحِيحٌ أَنْ الْغُفْرَانَ لَا يُغَيَّرُ  
الْمَاضِي، لَكِنَّهُ يَحْرُرُ الْقَلْبَ مِنْ قَيُودِهِ...  
وهذا ما عَلَّمْتُنَا إِيَّاهُ رِيْمَا. <<

>> تذكر يا قارئ هذه الرواية ، أن الإسلام لم يكن يوماً ضدَّ  
الحب. الإسلام فقط يؤمن بأن الحبّ الحلال هو أساس كل  
علاقة، وأن البدايات التي لا ترضي الله، نهايتها حتمًا لن  
تُرضيك <<

\*\*\*

>> وهل لك أن تنسى أن ربما وأسر، رغم حبّهما لبعض، لم  
يُغضبا الله، ولم يدخل في علاقة غير محلّلة. تذكّر أن حبّ الله  
أعظم من حبّ العبد، وأنت إن أمنت برّبك، فسيكتب لك ما  
هو خير لك أو أكثر <<

>> هل تعلم أن الأحلام لا نخون ما لم يتغلَّ عنها أصحابها .  
وتذكّر أن ربما، رغم كل ما مرت به من ألمٍ وانكسار، وقفت  
من جديد وأكملت دراستها، وحققت حلمها. فالأحلام لا تُقاس  
بالمكانة ولا بالمال، بل تُقاس بحجم الألم الذي عُشناه لأجلها،  
وبالأمل الذي تمسّكنا به رغم الصعاب <<

>> أرجوك يا عزيزي القارئ تذكر أن الأحلام تسكن تحت ظلّ  
عزيمتنا، تظهر عندما نُصرّ على رؤيتها، وتأتي لمن آمن بها حقًا  
واحتمضها بقلبه، مهما اشتد الظلام>>

\*\*\*

>> ودائمًا لا تنسى أن الأمومة ليست محصورة في الإنجاب،  
وأن الأبوة لا تقتصر فقط على توفير الأكل والشراب. العائلة  
أعظم من أن تُقاس بشيء مادي، فقد خُلقت لتكون نصف  
المجتمع وأساس الدين>>

>> العائلة خُلقت لبناء المجتمع لالهدمه. فيا أيتها الأم، كوني  
مسؤولة عن أبنائك، ويا أيها الأب، كن حنوناً على أولادك.  
العائلة خُلقت لتبني الجيل لالتدمره <<

\*\*\*

>> ودائماً لا تنسَ أن الموت حق، وأننا جميعاً فقدنا يوماً  
شخصاً عزيزاً علينا. قد يكون مات في دنيانا، لكن هذا لا يعني  
أنه لن يظل حيّاً في قلوبنا. تذكّر أن تفعل كما فعلت ربما <<

>> وإياك أن تنسى أن الدين قبل كل شيء فهو النور الذي  
ينير طريقك عندما لا تجد المفز >>

\*\*\*

>> تذكراً ألا تحكم على الناس من مظاهرهم، ولا تجعل  
ماضيك يسيطر على تفكيرك وحاضرک، فما مضى قد مضى،  
وما سيأتي أنت من ستبنيه بنفسك >>

>> تذكر أن أخلاقك، وطيبتك، وعزيمتك، وجهدك، هي من  
ستتحدث عنك وتشهد لك في كل زمان ومكان <<

\*\*\*

أعلم أنك مررتَ بظروفٍ صعبة، أنتَ وحدك من يعرف حجمَ  
المُها في داخلك. وأعلم أنك أحياناً تشعر أنك وحيد، غدرتُك  
الحياة وتركتك تتألم بمفردك، ولا أحد يفهمك أو يستطيع  
مساعدتك،

أولعلّ هذا ما ظننته سابقاً...

لكن لا تنسَ أنّ ربَّ العبد أرحمُ بالعبد من نفسه. ولهذا، إن  
أردتَ النجاةَ من طُوق الحياةِ الظالمة، فتمسّك بدينك،  
وربّك، وقيمك قبل كلّ شيء.

وتذكّر دائماً أن الله لا يخذل من تمسّك به، وأن أفسى الطُّرُق  
تؤدّي إلى أجمل النهايات، فقط حين نمشها بالإيمان

\*\*\*

\*\*\*

وأخيراً، سأقول لك هذه الكلمات التي تمنيتُ لو قالها لي أحدٌ

من قبل أن أدرك معناها بنفسي...

سأخاطبك بها بصفتك إنساناً، قبل أن تكون قارئاً.

نعم، تذكّريا قارئ حروفي، ويا بطلَ حكايةٍ لا يعرفها سواك...

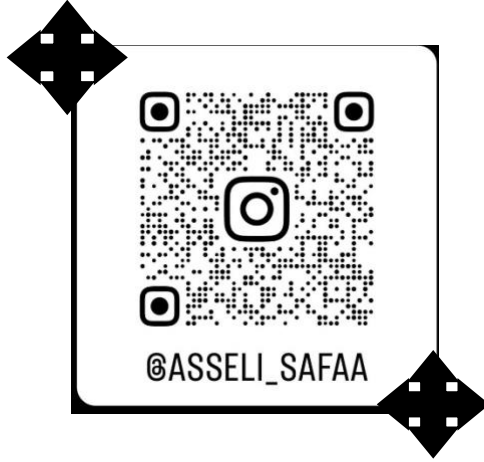
تذكّر أن بعد كلِّ عُسْرٍ يُسرّاً، وبعد كلِّ صبرٍ فرجاً.

<< فقط لا تستسلم، وتذكّر دائماً أنك تستحقّ الأفضل >>

\*\*\*

عند وصولك إلى هذه الصفحة يعني أن الرواية انتهت  
فشكرا لكونك كنت جزءا من عالم رواية أنتَ جريمتي الأولى.

مرحباً بك في عالمي ✨



تدقيق وتنسيق : الكاتبة عسلي صفاء وبعض المساعدة من  
الأستاذة السد أميرة .

تصميم الغلاف : عسلي صفاء .

تم الإنتهاء من كتابة هذه الرواية يوم 31 جانفي على الساعة  
7.34 مساء بتوقيت الجزائر

وتمت إضافة بعض التعديلات النهائية يوم 18 ماي على  
الساعة 6.10 مساء بتوقيت الجزائر